الفصل الثامن

# رؤية تحليلية
# في علاقة الإسلام بالغرب

- المبحث الأول: منطلقات الحوار مع الآخر في الإسلام.
- المبحث الثاني: الحث على معرفة الآخر وفهمه.
- المبحث الثالث: مفاهيم نقدية في التفاعل مع الآخرين.
- المبحث الرابع: من المنظور التاريخي إلى رصد الواقع.
- المبحث الخامس: ورغم هذا.. فلماذا العداء من الغرب للإسلام؟.
- المبحث السادس: تحديات في طريق التقارب بين الإسلام والغرب.
- المبحث السابع: رؤية تحليلية لبعض الكتابات التي تناولت علاقة الإسلام بالغرب.
- المبحث الثامن: المواجهة والتصادم التحديات إلى الحلول والتقارب.

obeikandl.com

obeikandl.com

# رؤية تحليلية في علاقة الإسلام بالغرب

## المبحث الأول

## منطلقات الحوار في الإسلام

١- نحن المسلمين مطالبون بالسعي للحوار مع الناس بما يحقق وضوح الرؤية ويجمع الكلمة على المبادئ والقيم الربانية الخالدة. وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران آية: ٦٤].

٢- نحن نعتقد أن إيماننا لا يكون ولا يتحقق إلا بالكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء والرسل جميعا، وأن المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام نبي الله ورسوله، وروح منه وكلمته التي ألقاها إلى مريم البتول عليها السلام، وأن نبينا ورسولنا محمد بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام هو دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وبشارة سيدنا المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦] فجاء عليه الصلاة والسلام مصدقا لما بين يديه من الكتاب حيث يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ١-٤].

٣- عن الإسلام الذي نعتقده ونفهمه وفق النصوص الثابتة القاطعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هو دين الله تعالى الذي أرسل به الرسل جميعا، منذ ابنا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتى سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وفق مسميات ومعاني تناسب الزمان

والمكان لكل قوم مقتضى حالهم وحياتهم التي كانوا يعيشون، وأن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعث لتختتم به دعوة الله تعالى ورسالاته، ولتكتمل بما جاء به دعوة الأنبياء والرسل من قبله، في ظروف من الزمان والمكان تحقق للناس بها من أسباب التعارف والتعايش، ما يصلح معها مخاطبتهم جميعا بتمام ما أراد لهم ربهم وخالقهم من مبادئ وقيم ومنطلقات، تستقيم معها حياتهم لهم بها الخير كل الخير وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٤- نحن أمة تحكم علاقاتنا وتحاوراتنا مع الآخرين قاعدة أساس تقوم بها وعلى أساسها صحة كل علاقة وسلامة كل حوار، وهي التزام مبادئ وقيم وتعاليم دين الله وهذا بين في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ ) [المائدة: ٤٩].

٥- إن منهجنا ونحن نعرض مبادئ وتعاليم الإسلام على الناس، تحكمه قيم وآداب لا ينبغي لنا تجاوزها ومخالفتها ولا يصح معها تجريح وسباب معتقدات الآخرين، وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٦- نحن مطالبون وفق تعاليم إسلامنا وقيمة، بالتزام العدل و إنصاف الناس مع وجود الاختلاف في العقيدة وقيام الخصومة والشحناء معهم، حيث يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

٧- إن منهج القرآن يعلمنا ويؤكد علينا، أن البشرية مدعوة بأمر ربها جل شأنه، للتعارف والتعايش وفق القيم والمعايير الربانية، على أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوانهم، وأن إتيان الحق ومجانبة الباطل هو أساس التنافس بينهم، وهو أساس معيار القرب والبعد من تقوى

الله ومرضاته، وهذا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٨- نحن أمة الإسلام يحدونا ونحن نتعامل مع غيرنا من الناس، تعاليم ربنا جل ثناؤه وتوجيهات رسولنا عليه الصلاة والسلام، التي تطالبنا وتؤكد علينا السعي في تحقيق مصالح العباد، وجلب النفع العام لهم، وأن ذلك السعي الصادق هو السبيل لنيل محبة الله تعالى والفوز بمرضاته حيث جاء في الأثر: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

٩- إن الإسلام يؤكد أن أساس دين الله تعالى، يقوم على إقامة العدل بين الناس، وشيوع قيم الإحسان بينهم، والعمل على مكافحة الفحشاء والمنكر ومحاربة البغي في حياتهم، وقد عظم فقهاء الإسلام قيم العدل، حتى جعلوه معيارا لنصره الله وتأييده لأي ملة تقيمه وتلتزمه حتى ولو كانت كافرة حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمة الله تعالى: «إن الله لينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة» وهذا كله في ضوء فهمهم لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

١٠- نحن المسلمين نعتقد بمشروعية التدافع الإنساني، ونؤمن بأن منهجية التدافع بين الناس القائمة على أساس التنافس، في جلب المصالح وإدرء المفاسد، كفيلة بتحقيق الحياة الأفضل لهم جميعا، وتوفير الأمن والاستقرار، وصرف الفساد عن الأرض، وهذا مؤكد في قول الله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].. ومن جهة أخرى فإن التدافع بين الناس لجدير بحماية حرية الناس في معتقداتهم وأنماط حياتهم، وصيانة معابدهم على اختلاف مللهم، وهذا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. ومن مفاخر الفقه السياسي في الإسلام، أن الشرائع جاءت لتحقيق أكمل المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين.

١١- نحن أمة ألزمنا ربنا جل شأنه بمنهج الوسطية وحملنا أمانة الشهود الحضاري على الناس ومسؤولية تبليغ الهدى الرباني للناس كافة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

١٢- نحن المسلمين نعتقد ونؤمن بأننا شركاء مع غيرنا في منهج الاستخلاف لعمارة الأرض ولسنا محتكرين لهذا المنهج، وأن غياب المسلمين أو تغييبهم عن المشاركة في منهج الاستخلاف أو تجريد هذا المنهج من القيم الربانية، سيؤدي لا محالة إلى فساد الأرض ودمار حياة الناس عليها، وهذا مؤكد في قوله الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ [محمد: ٩-١٠].. أو ليس اندحار الشيوعية ومعسكرها الإلحادى الكبير دليلا قطعيًّا على هذا الذي يؤكده القرآن[1].

١٣- نحن المسلمين يقوم فهمنا لمنهج الاستخلاف في عمارة الأرض، على خاصية التكامل الثقافي بين قيم الإسلام وأصوله ومقاصده الكلية في تحقيق مصالح العباد.. وهذا التكامل اعتقادا وفهما والتزاما، هو الذي يميزنا عن غيرنا في فهمنا لمنهج الاستخلاف في عمارة الأرض، وهذه الخاصية هي التي تبوئ منهج المسلمين موقع الوسطية بين مناهج الأمم، وهي التي تؤهلهم لمهمة الشهود الحضاري على الناس في مسيرة الاستخلاف.. وبشكل أدق فإن قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]. وثانيهما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]. وأن عمق وشمولية فهمنا، وصدق التزامنا لمرتكز «فاعلم..» وكفاءة إتقاننا وجدية ممارستنا، وارتقاء مهاراتنا الإبداعية في إطار مرتكز «فامشوا..» في سياق من التكامل التام، هو الذي يستقيم به منهج الاستخلاف الأمثل لعمارة الأرض، والتكامل مقومات هذا المنهج أو تعطيل لأحد مرتكزاته

(١) حامد أحمد الرفاعي: الإسلام والنظام والعالمى الجديد، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٤٦، صفر ١٤١٥هـ، ص ١٣١.

يكون سببا أساسيًّا لتخلفهم، واندحار نتائج أفعالهم ومعطياتهم الحضارية، وتاريخ الأمم في ماضيها وحاضرها، يضرب أمثلة على ذلك ويؤيده، والقرآن الكريم يحدثنا بما يصدق ذلك ويؤكده حيث يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

١٤- عن مبادئ الإسلام وقيمة تعلمنا وتؤكد علينا، أن لا نبخس الناس أشياءهم، وألا نحتقر كدحهم وجهدهم في كل عمل بناء، يحقق الإعمار والإبداع الحضاري.. وتلزمنا تعاليم الإسلام احترام وتقدير كل عطاء خير في ميادين القيم والسلوكيات وفي ميادين الماديات والوسائل والمهارات، يلتقي مع قيم القرآن الكريم يعتبر احتقار سعى الناس وبخس مشيهم الإيجابي الفعال المثمر في الأرض، من العبث والإفساد الذي يمقته الإسلام، وينهى عنه وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

١٥- إن حرية الأديان والاعتقاد، مكفولة ومصانة في القوانين الدستورية، والقواعد التنظيمية القائمة على أساس ثوابت ومنطلقات منهج الإسلام في الحكم، وإن الشريعة الإسلامية لا تحتكر القرار السياسي في تحقيق المصالح، ودرء المفاسد لأتباعها دون غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، فالجميع أن ثوابت الشريعة لا تسمح بفرض المعتقدات الإسلامية على الآخرين بالإكراه والقوة، كما هو مقرر في قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. بل إن الأحكام السلطانية الإسلامية، أعطت في ظل سيادتها من الحقوق والاستقلالية الدينية لغير المسلمين ما لم تكفله لهم الأحكام، أو التنظيمات البشرية قط لا في ماضيها ولا في حاضرها المعاصر، وإن واقع التاريخ الإسلامي يصدق ذلك ويؤكده فقد حكم الإسلام الهند لقرون عديدة، ومع ذلك بقي المسلمون هم الأقلية، هذا وإن أداء الحقوق وإقامة العدل بين الناس كل الناس على اختلاف أديانهم، وأجناسهم

وقومياتهم وألوانهم وبرهم وفاجرهم، هو أساس مقاصد الشريعة الإسلامية وغاياتها العليا، وهذا بين مؤكد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

١٦- إن الأمة الإسلامية مثلما أنها تختزن في أرضها كما هائلا من الطاقة، تشكل مرتكزا أساسيا في توازن المصالح العالمية، وتنوعا جغرافيا واقتصاديا وكما بشريًّا له دوره الفعال في الموازنات السياسية العالمية، فإنها تمتلك مخزونا أجل وأعظم أهمية، وأكثر نفعا للمسيرة الإنسانية، مخزونا فريدًا من القيم والمبادئ، وثروة ضخمة من الفقه التشريعي، يسهل على الإنسانية مهمتها، ويختصر جهدها في تحقيق آمالها في انبعاث مشروع حضاري إنساني معاصر، لذا فإن أي مشروع جاد لتحقيق نظام عالمي عادل، يبقى عاجزًا عن تحقيق غايته المتزنة المجدية، مع غياب أو تغيب مشاركة ومساهمة الفعاليات العربية والإسلامية قيميًّا وماديًّا.

١٧- إن المسؤولية الكبرى في إنقاذ هذه التركة الحضارية المادية العالمية، يقع على عاتق العقلاء والحكماء من الناس على أساس من المبادئ والقيم الربانية التي يقدم المنهج الإسلامي ثوابتها ومنطلقاتها ويوضح أدبياتها وأخلاقياتها.. وذلك قبل أن يحيق بهذه الحضارة العظيمة عبث الاغتراب القيمي والأخلاقي للقائمين على مقاليدها، فيلتهمها الدمار والخراب، كما التهم بعضا منها بالأمس في الاتحاد السوفيتي، لذا فعلينا جميعا، أن نبادر ونستعد للقيام بهذا الواجب قبل فوات الأوان، وإلا ستكون الخسارة الإنسانية عظيمة جدا، تصيب أهل الأرض جميعا، وهذا في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].. بعد هذا القول في تقويمنا لحضارة المجتمع الإنساني لا بد من التأكيد على جملة من المعاني والمبادئ:

أولًا: لابد للمجتمع الدولي أن يفهم المسلمين على النحو التالي:

أ- إننا أمة لها تاريخ حضاري عريق أفرزته وصاغته مبادئ الإسلام وقيمة.

ب- إننا أمة حملت مبادئ وقيمًا لا نحتكرها ولا نحجبها عن غيرنا، فهي لخير الناس جميعا لأنها من لدن ربهم وخالقهم سبحانه، وهذا في قول الله تعالى على لسان

رسوله محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ج- إننا أصحاب حضارة إنسانية متوازنة، كانت محضنا أمينا ومثريا لحضارات قديمة، ومرتكزا متينا لحضارات معاصرة.

د- إننا أمة تعتقد وتؤمن بكل موضوعية ـ أنها جزء من المجتمع الإنساني، لها إمكاناتها وقدراتها وقيمها التي يحتاجها المجتمع الدولي، لتصحيح وإثراء مقوماته الاجتماعية والأمنية والثقافية والسياسية والاقتصادية.

هـ- إننا نؤمن أن خير الناس لا يقوم إلا بالحوار الثقافي الجاد، والاستعداد المخلص لقبول الحق الذي لا يتصادم مع فطرة الإنسان ومتطلباته التكوينية الربانية.

و- إننا أمة يؤكد منهجها الرباني، أن الإنسان والاعتناء بإنسانيته وفق مكوناته الفطرية، وعبر منهجية تربوية متوازنة، هو الأساس والمنطلق السليم لحياة إنسانية آمنة مستقرة.

لأجل هذا بهذه الأمة مطالبة بالتخاطب مع الآخر وفهمه واستيعابه، مما سنبرزه فيما يلي:

## المبحث الثاني
## الحث على معرفة الآخر وفهمه

إن الحضور الميداني وممارسة الفعل الحضاري والمجاهدة والجهاد، بمفهومه الكبير وفضائه الواسع، هو سبيل الهداية للسنن والقوانين وشروط السقوط والنهوض، يقول تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالنفرة لهذا الجهاد الكبير، ومعرفة الواقع بكل مكوناته، ومحاولة تحليله وإرجاعه إلى عوامل نشوئه، وأسباب علله وأمراضه أو نهوضه وإنجازه، هو من الفروض الحضارية التي تمنح الفقه والهداية والتبيين والموعظة والوقاية من الإصابة، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨]، ذلك أن النص هنا يدعو صراحة لعدم الانكفاء على الذات والاقتصار على التجربة الذاتية، على الرغم من أنها مسددة بحراسة الوحي، وإنما يطلب التوغل في التجربة البشرية ودراستها، بأمر الوحي نفسه، لأن هذا السير الذي يعتبر مصدر معرفة حضارية هو من عطاء الوحي أيضًا.

وهذا السير، حتى يحقق عبرته ووقايته سلبًا أو إيجابًا، لا بد له من معيار دقيق وسليم، فإذا فقد المعيار أو شابته شائبة كان الارتماء، وإذا قصرت الرؤية لعطاء الوحي وخلوده كان الانكفاء، وإذا استصحب الوحي كما ينبغي كان التبادل المعرفي، وإغناء التجربة الذاتية من خلال القضاء الحضاري.

وتزداد أهمية التبادل المعرفي، لأنه يبصر بـ (الآخر) بعقيدته وثقافته وتاريخه وحضارته، ويشكل دليل العمل والتعامل معه من منطلق شرعي، وهو أن رسالة الإسلام رسالة عالمية إنسانية، ولا خيار للمسلم في وجوب إبلاغها (للآخر)، وكيف يتحقق هذا الإبلاغ إذ لم نعرف (الآخر) تمامًا[1].

(١) بدران بن مسعود بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، قطر، كتاب الأمة، العدد ٧٣، رمضان ١٤٢٠ هـ، ص١٥.

ذلك أن أي نهوض بناء حضاري يتجاهل (الآخر) أو يتجاوزه، فلا يفيد من إيجابياته لينميها ويعتبر بسلبياته فيتجنبها، هو نهوض معزول عن الرؤية الإنسانية، ميدان الرسالة الإسلامية الطبيعي، ومنقوص منهجيًّا، وعلى الأخص في هذه العصر، الذي بلغ شأوا مذهلا في الاتصال والتواصل، فالذي لا يذهب إلى العالم يجيء العالم إليه، والذي لا يعد العدة للتعامل مع العالم لا يمكن أن ينجو بنفسه وإنما سوف يسقط من التاريخ والحاضر والمستقبل، والذي لا يحسن الإفادة من العطاء يحرم الكثير، والذي لا يعتبر بالتجارب العالمية ويبدأ من حيث انتهى (الآخر)، ينتهي إلى الانقراض والتآكل ويكون عبره لغيره، فالعاقل من يعتبر بغيره، والأحمق من يصير عبرة لغيره، والرسالة الإسلامية لم تكن بدعًا من الرسالات، ولا الرسول ﷺ كان بدعاً من الرسل، وإنما هو امتداد لتاريخ النبوة مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه.

لقد جاء الإسلام لبنة في بناء النبوة فأكسبه الاكتمال ووسمه بالكمال، والدين الذي أكمله الله بالإسلام ليس الصورة الأخيرة وإنما هو الدين التاريخي للنبوة الذي انتهى بكل عطائه وعبره إلى الرسالة الخاتمة، ذلك أن الخاتمية تعني من بعض الوجوه استيعاب (الآخر) وتقويم تجربته واستقرارها في النبوة الخاتمة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، على مدى تاريخ النبوة، والرسول ﷺ يقول: «الأنبياء أبناء علات» (أخرجه مسلم)، ويقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنه من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا ختم النبيين» (أخرجه البخاري).

لذلك نقول: إن معرفة (الآخر) والإحاطة به عقيدة وتاريخًا وواقعًا يعتبر من اللبنات الأولى للدعوة إلى الله، وبدون ذلك قد تصبح الدعوة نوعًا من الخبط الأعشى أو خبط عشواء؛ كما يقال.

ولو استعرضنا الكثير من سور القرآن الكريم لوجدنا أن الحديث عن (الآخر) بعقائده وعباداته وعلاقاته الاجتماعية وممارساته اليومية ومواقفه من النبوة وعواقب تصرفاته تشكل مساحة تعبيرية، بل مساحات تعبيرية كبيرة وكبير جدًّا تكاد تفوق الحديث عن

العقيدة الإسلامية والدعوة والعبادة والسيرة الذاتية لمحمد عليه الصلاة والسلام ومسيرة لأمة الرسالة الخاتمة، التي لا بد لها لتقوم برسالتها بشكل سليم من استيعاب تاريخ الأمم السابقة.

لذلك نقول: إن استحضار الحضارات والثقافات وتاريخ الأمم السابقة وتاريخ النبوة وعدم القطيعة معها هو دين من الدين، يقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

هذا الاستحضار أو هذا الشهود الحضاري، هو الذي يحقق المناعة والوقاية الحضارية، أو بعبارة أخرى: إن هذا الهضم الحضاري الذي يتحقق للمسلم المستهدى بمعرفة الوحي هو الذي يمكنه من التقوى بالعناصر المفيدة ليقوى وينمو على مختلف الأصعدة، ويؤهله للوارثة الحضارية، كما يمكنه من طرح الفضلات الحضارية ومحاصرة امتدادها وآثارها والتطهر منها، وعلى ذلك فلا يمكن اعتبار معرفة (الآخر) والتحاور معه والإفادة منه عدول عن منهج الإسلام، وإنما هو عين المنهج الإسلامي، أو هو المنهج القرآني[1].

(١) بدران بن مسعود بن الحسن: المرجع السابق، ص١٩.

## المبحث الثالث
## مفاهيم نقدية في التفاعل مع الآخر

### أولًا: من نقد الآخر إلى نقد الذات:

من الملاحظ أن الكثيرين في عالمنا الإسلامي يميلون إلى تعليق كل مشكلات المسلمين على شماعة الغير الذي نعتقد ـ صوابًا أو خطأ ـ أنه يتربص بنا، ويخطط لمحونا كمسلمين، من خريطة العالم. ويسترسل بنا التفكير ويمتد بنا الخيال للحديث عن تفاصيل التخطيط الخبيث من جانب الآخرين لنهب خيرات العالم الإسلامي، وتدمير اقتصاده وتجويعه، ومحاولات فرض القيم والمعايير الغربية على الشعوب الإسلامية... إلخ.

ولا ينسى الكثيرون - في هذا الصدد - الحديث عن مثالب المجتمعات الغربية وتدهورها الأخلاقي، وانحلالها الاجتماعي، وتخلفها الروحي. وفي المقابل يحلو لنا الحديث عما لدينا من قيم روحية وأخلاقية سامية تقينا من شرور هذه المجتمعات وتجعلنا أكثر رقيًّا في هذا فنحن أكثر تقدما ورقيًا على المستوى الروحي والأخلاقي من الغرب المتبجح بصناعاته وابتكاراته المادية. إننا في مجتمعاتنا الإسلامية بخير والحمد لله. وعلى هذا النحو نتعامل في الأعم الأغلب مع مشكلة التخلف في العالم الإسلامي دون أن نقدم حلولًا عملية ناجعة لحل هذه المشكلة المتعددة الجوانب.

وفي خضم تحمسنا لنقد الآخر وفضح عيوبه وانحرافاته وظلمه وقهره للشعوب وتفسخه على المستوى الاجتماعي وتحلله على المستوى الأخلاقي والديني؛ ننسى أننا بذلك لا نسيء إلى الآخر، بل نسيء إلى أنفسنا، لأننا بذلك نتجاهل عيوبنا ونتغاضى عن نقد أنفسنا فسهام النقد التي في جعبتنا قد تم توجيهها إلى الآخر، ولم يعد لدينا سهم واحد في هذه الجعبة يمكن أن نوجهه إلى أنفسنا. وبذلك تتراكم مشكلاتنا يومًا بعد يوم دون أن نبذل الجهد المناسب لإيجاد الحلول الملائمة لها. فالغرب لنا بالمرصاد يجهض كل محاولاتنا ويمسك بيده كل خيوط اللعبة المحكمة الماكرة.

وهذا النمط من التفكير يريح الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية. فقد أدينا بذلك واجبنا في تعرية الآخر وكشف مؤامراته. وبالتالي فإن تخلفنا - إذا كان هناك تخلف - سببه

الآخر. وجماهير الأمة من كثرة تعودهم على سماع ذلك قانعون راضون يصفقون طويلًا لمن يضرب على هذا الوتر ويخاطب عواطفهم وانفعالاتهم.

أما النقد الذاتي، أما نصيبنا أو إسهامنا في التخلف القائم، أما قعودنا عن فعل أي شيء إيجابي لتغير الأوضاع المتخلفة في العالم الإسلامي، فإن هذه أمور غير واردة في الحسبان. فنحن بخير والحمد لله. وهكذا نقوم بإرادتنا - دون أن يرغمنا أحد على ذلك - بتغييب وعي الجماهير.

إن النقد الذاتي هو الخطوة الأولى نحو الوعي بعيوبنا وأدوائنا وما نتحمله من مسئولية لما يعانيه هذا العالم الإسلامي من التخلف.. الوعي بأننا نتحدث كثيرًا ولا نفعل شيئًا إلا أقل القليل.. الوعي بأن هناك واقعًا متخلفًا في عالمنا الإسلامي يجب أن نتغير.. الوعي بأننا - نحن المسلمين - نسهم بشكل أو بآخر - بقصد أو بغير قصد، بحسن نية أو بسوء نية - في تخلف مجتمعاتنا الإسلامية[1].

إن الآخر ينقد نفسه باستمرار، وكثير من نقدنا له صادر في الأساس عنه. فنحن مثلًا حين ننقد العولمة ننسى أن الكثير من هذا النقد صادر من مجتمعات العولمة ذاتها. فكتاب «فخ العولمة» - على سبيل المثال - صادر عن مؤلفين غربيين نستعير منهما نقدهما للعولمة.

ونقد دعوى صراع الحضارات ونهاية التاريخ صادر أيضًا من الغرب وبخاصة من أوروبا التي لها في الأعم الأغلب موقف رافض لهذه الدعاوى الصادرة من الولايات المتحدة الأمريكية.

إننا في عالمنا الإسلامي في أشد الحاجة إلى تعديل مواقفنا، وتطوير أسلوب تفكيرنا، وتغير سلوكنا، والتعرف على الحقائق بطريقة موضوعية بعيدة عن أي ميول عاطفية أو انفعالات وقتية. وهذه كلها أمور تتطلب المزيد من النقد الذاتي، وفتح عيون مواطنينا على نقاط الضعف لدينا والوعي بعيوبنا.

ومن جانب آخر نحن في أشد الحاجة أيضًا إلى غرس القيم الدافعة إلى تقدم المجتمع في نفوس أبنائنا. وهذا أمر يقتضي تغيير المفاهيم وتغيير العقليات حتى تكون قارة على

(١) محمود حمدي زقزوق: هموم الأمة الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص٢١٥

تحمل تبعات النقد الذاتي الذي سيكشف عن الكثير من المساوئ والأخطاء. وكفانا تضييعًا للوقت وتبديدًا للجهد وتشتيتًا للفكر في صرف الانتباه عن عيوبنا وتخاذلنا وتقصيرنا وتعليق ذلك كله على إحدى الشماعات التي تريحنا.

## ثانيًا: مرحلة حاسمة:

إن المرحلة التي يعيشها عالمنا الإسلامي المعاصر لم تعد تحتمل هذا العبث بمقدرات الأمة. فهذه المرحلة تعد من أخطر المراحل الحاسمة في تاريخ أمتنا الإسلامية، إن لم تكن أخطرها على الإطلاق. ذلك لأن الظروف التي يمر بها العالم المعاصر تختلف اختلافًا أساسيًا عن كل ظروف سابقة. فبعد الثورة الصناعية والحروب الساخنة والباردة تعيش عالمنا المعاصر ثورات من نوع مختلف تتمثل في ثورة المعلومات وثورة الاتصالات والثورة التكنولوجية. وكلها ثورات حدثت خارج نطاق العالم الإسلامي. وفي الوقت الذي يعيش فيه العالم المتقدم هذه الثورات ويقطف ثمارها، ويحتاج بتيار العولمة بقاع الأرض، نجد عالمنا الإسلامي لا يزال يرزح في معظمة تحت وطأة التخلف والأمية، ويندرج في عداد فيه كالسوس، وتعطل نموه الكيفي وتعوق تنميته وتستنزف طاقاته وإمكاناته.

وإذا كان العالم المتقدم لمحو الأمية التكنولوجية في بلاده، فإننا في عالمنا الإسلامي لا زلنا - في الأعم الأغلب - نعاني من مشكلة الأمية الأبجدية التي لا تقل نسبتها في المتوسط عن أربعين في المائة، مع أن رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام قد قدم لنا منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان أبلغ الدروس في الاهتمام بمحو الأمية بين المسلمين حين كان يفرج عن الأسرى في غزوة بدر إذا قام الواحد منهم بمحو أمية عشرة من أبناء المسلمين بتعليمهم القراءة والكتابة.

إن العالم من حولنا يجري بسرعة مذهلة، والفجوة بين العالم المتقدم والعالم الإسلامي تزداد اتساعًا يومًا بعد يوم. وهذا يعني أن العالم الإسلامي - إلى يقف الآن في مفترق طرق - يواجه قضايا مصيرية وتحديات كبرى، وليس هناك مفر أمامه من التحرك السريع لمواجهة هذه القضايا، والتصدي لهذه التحديدات، والعمل بسرعة لتغيير هذا الوضع المتخلف، ولن يسعفنا في ذلك أو يساعدنا على الخروج من هذا المأزق لخطير قوة خارجية أو حتى غيبية،

وإنما التغير يجب أن يكون ذاتيًا، منبعثًا من إرادة إسلامية. فزمن المعجزات قد انتهى، والقانون القرآني في التغيير يحدد لنا معالم الطريق حين يقول: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

ولا يجوز للمسلمين في عالم اليوم أن يكونوا مجرد متقبلين أو مستهلكين لمنتجات العصر وأفكاره. فدينهم العظيم يفرض عليهم أن يكونوا مشاركين بفاعلية في كل التطورات العلمية والإنجازات التكنولوجية التي تخدم الإنسانية.

وقد نهض علماء المسلمين في السابق بواجبهم وتحملوا مسئولياتهم. وبذلك أسهموا في بناء صرح حضارة إسلامية شامخة قدمت عطاءها الغزير للإنسانية كلها، وكانت من أطول الحضارات عمرًا في التاريخ. ولكن عندما أصيب هم المسلمين بالفتور، وضعفت عزائمهم، وخارت قواتهم، تراجعوا إلى مؤخرة الصفوف وتوقف عطاؤهم الحضاري.

وإذا كان تيار العولمة يحتاج عالمنا في جميع الجهات فإن علينا أن نميز في هذا التيار بين ما هو إيجابي وما هو سلبي وأن نغتنم ما يأتي به من فوائد، وفي الوقت نفسه نحصن أنفسنا ضد ما يجلبه من مخاطر أو سلبيات. وفي كلا الحالين فإننا مطالبون بعمل إيجابي. ومن هنا فإن العالم الإسلامي ينبغي أن يرتفع إلى مستوى التحديات وأن يواجهها بشجاعة وإلا ينحنى أمامها ضعفًا أو استخذاء.

إن الأمر جد لا هزل فيه، وعالمنا لا يرحم الضعفاء ولا يحترم غير الأقوياء. ونحن المسلمين لسنا دعاة استعلاء، وإنما نحن دعاة عدل وسلام. ولكن لن يسمع لنا صوت مادمنا ضعفاء. فالعدل والسلام يحتاج إلى عنصر القوة. وقوة عالمنا المعاصر لن تعد في قوة السلاح فحسب، وإنما في قوة العلم والمعرفة. فمن يملك العلم يملك القوة، ومن يملك القوة يحظى بالاحترام ويكون قادرًا على تصحيح المسار من أجل خير وسلام البشرية.

## ثالثًا: مواجهة التحديات:

ونحن المسلمين في أشد الحاجة إلى التعاون والتنسيق والتكامل على جميع المستويات لمواجهة التحديات المعاصرة. وإذا كان العالم المتقدم يقوم بتكوين تكتلات اقتصادية

كبرى يستطيع من خلالها فرض إرادته وتجارته وسلعه وخدماته فإن الكيانات الاقتصادية الضعيفة لن يكون لها مكان ولن تقوى على البقاء في ظل التنافس الاقتصادي القائم في عالم اليوم.

ويتلفت المسلم حوله فلا يجد تكتلًا اقتصاديًّا واحدًا له أهميته في نطاق عالمنا العربي الإسلامي. وهذا وضع جعل حجم التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي يصل إلى أقل من ١٠٪ من مجمل معاملاته التجارية مع بقية دول العالم خارج نطاق العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من كل السحب الكثيفة التي تغطى سماء عالمنا الإسلامي فإننا لا نريد أن نكون متشائمين، ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نفقد الأمل في مستقبل أفضل للمسلمين. فاليأس والإحباط ليسا من سمات الشخصية الإسلامية: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وعندما يتطلع المسلمون إلى غد أفضل فإنهم في حقيقة الأمر لا ينطلقون من فرغ. فهم أغنياء بما يشتمل عليه دينهم من قيم دافعة إلى التقدم المادي والمعنوي، وبما لديهم من رصيد حضاري عظيم، وبما حباهم الله به من ثروات طبيعية كثيرة، وبما يمتازون به من مواقع جغرافية مهمة تشكل سلسلة متصلة الحلقات لها أهميتها الإستراتيجية الكبرى.

ولكن تحقيق الأهداف المرجوة لا يكون بالتمنى، وإنما يتطلب إرادة فاعلة، وعزمًا أكيدًا، وعقلية واعية، وهمة عالية وسعيًا متوصلا من أجل ترجمة الأمنيات إلى حقائق على أرض الواقع.

## المبحث الرابع
## من المنظور التاريخي إلى رصد الواقع

هناك ذكريات تاريخية وعدة ملابسات تدور في ذاكرتنا في البداية:

١- أولها ما جرى في أيام الإسلام الأولى من صراع بين الدعاة المسلمين والمبشرين المسيحيين، وهو صراع أو تنافس يفسر كلًّا من الإسلام والمسيحية لهما طابع إنساني وعالمي (خلافا لليهودية)، وأن هذه العالمية من شأنها أن تخلق مناطق تنازع على التأثير والنفوذ.

٢- أما الذكرى الثانية فهي ذكرى الحروب الصليبية التي يتفق أكثر المؤرخين في شأنها على أن الجيوش الأوربية الغازية وإن رفعت الصليب وارتدت المسوح الدينية المسيحية، فإنها لم تكن في حقيقتها إلا حروب فتح وتوسع وأطماع سياسية واقتصادية.

٣- وأما الثالثة فهي وقوع أكثر أجزاء العالمين العربي والإسلامي تحت السيطرة الأوربية من خلال الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والهولندي والبرتغالي، وهو استعمال لا تزال بعض مظاهره باقية على أرض العرب والمسلمين، ولا تزال بعض آثاره السلبية قائمة في العقل والوجدان على جانبي العلاقة، فلا ينال الغرب في زاوية من زوايا العقل العربي والمسلم، وهو ذلك العدو القديم الذي لم يريح بهيمنته واستعلانه واستغلاله إلا مضطرا، ولازال العرب والمسلمون في زاوية من زوايا العقل الغربي هم أولئك المتخلفون الذين هزمتهم وحكمتنهم أوروبا المتحضرة، ولم ترحل عن بلادهم وخبراتهم إلا مضطرة.

ويلفت النظر في خصوص «الظاهرة الاستعمارية» أن زوالها الفعلي برحيل الجيوش والسلطات الأجنبية لم ينه تماما آثارها الثقافية والعقلية، إذ لا تزال في العقل العربي والمسلم حالة احتراس وحذر شديدين تجاه كل فكر وكل مظهر حضاري قادم من الغرب، مخافة أن يكون قبول هذا التفكير وذلك المظهر امتدادا لحالة «الهزيمة تجاه الغرب» وهذا الأثر الباقي هو الذي يفسر تحفظ العقل الجماعي العربي والمسلم تجاه بعض ظواهر الحداثة والتقدم نظرا لمجيئها من أرض عربية هي أرض المستعمر القديم الذي رحل منذ ما لا يزيد على نصف قرن من جميع بلاد العرب والمسلمين.

ولأن الولايات المتحدة لم تمارس استعمارا بالمعنى التقليدي على العالمين العربي والإسلامي، فقد كان في إمكانها أن تظل بعيدة عن الاستقطاب غير الودى في العلاقة بين العرب والمسلمين من ناحية وبين الغرب من ناحية أخرى، وهي ميزة ظلت متحققة لها حتى وقت قريب، وهو الوقت الذي تحولت فيه إلى قوة كبرى وارثة للدور الأوربي في السياسة والاقتصاد وفي القوة العسكرية، ومتدخلة في أكثر المنازعات العالمية ـ والعرب والمسلمون طرف فيها ـ بقواتها العسكرية أحيانا وبأجهزة مخابراتها العديدة أحيانا وبقوتها الاقتصادية الهائلة تارة ثالثة أخرى، وبهذا التدخل فقدت الولايات المتحدة الميزة التي كانت لها وصارت هي ـ بدلا من أوربا ـ رمز التأثير الغربي الذي تستقر له مشاعر التحفظ والتخوف في العقل العربي والوجدانى المسلم.

٤- وأما آخر الملابسات التي ساهمت في تعقيد العلاقة بين العرب والمسلمين وبين الغرب بمفهومه السياسي والجغرافى فهو إقامة الدولة الصهيونية ذات التوجهات التوسعية وذات الطابع العسكري، والاستعداد ـ بغير حدود ـ لفرض الأمر الواقع على جيرانها من العرب والمسلمين عن طريق القوة العسكرية التي لا تبالى بأن يتم تحقيق أهدافها عبر بحار من دماء وأشلاء أولئك الجيران[١].

وليس من السهل أن يمحو العرب والمسلمون من ذاكرتهم وقائع المذابح التي جرت في دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، وقانا، والمسجد الأقصى، فضلا عن أن تغيب عن وجدانهم صور مئات الضحايا الذين يسقطون تحت قنابل وصواريخ ورصاص الترسانة الإسرائيلية التي تشن حربا تشبه الإبادة على الشعب الفلسطيني، بعد أن تنكرت الحكومة الإسرائيلية التي يرأسها شارون لجميع التعهدات والالتزامات التي وقع عليها رؤساء الوزراء السابقون.

وإذا كانت مشاعر الغضب قد اتجهت أول الأمر إلى بريطانيا التي قدمت ـ تاريخيا ـ السند السياسي لإقامة الدولة الصهيونية، وذلك بوعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧، فإذا تلك المشاعر قد تحول أكثرها إلى الولايات المتحدة بعد أن تولت مسئولية الدفاع عن إسرائيل، لا عن وجودها وأمنها فحسب ـ وهو أمر كان من الممكن ـ طول الوقت ـ قبوله، ولكن الذي لا يمكن فهمه فضلا هو قبوله عن إحساس أهل الشارع العربي والشارع الإسلامي بأن هذا

(١) أحمد كمال أبو المجد: الإسلام وأمريكا، مجلة تحديات ثقافية، الإسكندرية، صيف ٢٠٠٢، ص ٩٠.

الموقف السياسي المحير لحكومة الولايات المتحدة ليس نتيجة لموقف عدائي وقطيعة للدول العربية والإسلامية، وإنما هو سبب يفسر تماما ويبرر تماما مشاعر الغضب والإحساس بالظلم، وهي المشاعر التي يشكو منها وينتقدها كثير من المسئولين في الولايات المتحدة.

## علاقة الإرهاب بالإسلام:

هناك أمور ثلاثة ينبغي توضيحها:

الأمر الأول: أن الدين وإن كان مكونا أساسيا من مكونات الثقافات والحضارات المختلفة، فإنه ليس المصدر الوحيد الذي يمكن على أساسه تفسير السلوك الفردى والجماعى لاتباع تلك الحضارات، فالمسلمون ـ مثلا ـ لا يعيشون بالإسلام وحده، وأن ظل الإسلام موجهًا هامًّا من موجهات سلوكهم وأساليبهم في العيش، إذ هم ـ من قبل ومن بعد ـ ناس من الناس يتلقون الرسالة السماوية، فيطيعونها ويتمثلون مبادئها، ويسعون إلى التخلق بمنظومتها الأخلاقية، ولكنهم لا يحققون تلك الغايات تحقيقا كاملا تندمج له أحوالهم وصورتهم في جوهر تلك الرسالات وصورتها، وإنما يظل جانب كبير من حياتهم، محكوما بسائر القوانين الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد والجماعات، ومتأثرا بجميع ما تتأثر به حياة الناس ـ على اختلاف دياناتهم ـ من مؤثرات سياسية واقتصادية وثقافية.

ومن هنا لا يكون صحيحا ولا جائزًا علميًّا، أن يفسر سلوك العرب والمسلمين المعاصرين تفسيرا أحادى المحور، ويرد جميع جزئيات ذلك السلوك إلى الإسلام الذي يدينون به وينتسبون إليه، وما يقال في ذلك عن أبناء الحضارة العربية والإسلامية، يقال مثله عن أبناء الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات.

الأمر الثاني: أن في داخل كل حضارة تيارات عديدة يتوسطها تيار أساسي عريض يعبر عن قيمها الكبرى وتصوراتها الأساسية للعالم والإنسان والطبيعة، وهذا التيار يضم ـ عادة ـ الأغلبية العديدة الكبرى من أبناء الحضارة، وإليه تنسب الحضارة كلها، وعلى أساسه يكون فهمها والحكم عليها. وإلى جانب هذا التيار توجد ـ عادة كذلك ـ تيارات هامشية فرعية متعددة يطلق عليها اسم الثقافات الفرعية SUBCULTURES، وهي مع انتسابها للحضارة

واشتراكها في ذلك مع التيار الأساسي لتلك الحضارة، فإنها تتجاوز بعض معالم الحضارة التي تنتسب إليها، تجاوز قد يضل إلى حد التناقض معها، وكلها تيارات تساهم في خلقها ظروف وملابسات خاصة تختلف باختلاف المراحل التاريخية واختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال.

وتاريخ المسلمين في هذا الشأن جزء من تاريخ الحضارات كلها، وقد عرف ألوفا شتى من هذه الثقافات الفرعية التي تفسر الإطار المرجعي للثقافة الإسلامية تفسيرا خاصا تنفرد به دون أن يكون هذا التفسير حجة على غيرها، ودون أن يسأل عنه التيار الأساسي العريض main stream للحضارة الإسلامية، وأول هذه التفسيرات الخاصة لمصادر المعرفة الإسلامية والتشريع الإسلامي ما كان على عهد الخوارج الذين رفعوا المصاحف على أسنة الرماح والسيوف، وتلوا قول الله تعالى: «إن الحكم إلا لله»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ليقولوا بتفسيق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتفسيق معاوية، ليبرروا خروجهم على الدولة «اللهم وال من واله».

وإذا كانت مشاعر الغضب والإحباط قد أدت ببعض المسلمين المعاصرين إلى الفرار من مرارة الواقع والإشفاق من صورة المستقبل المجهول إلى ذكريات الماضي التي حملت أمجاد الحضارة الإسلامية وانتصاراتها، وإلى الانحياز عن مجتمعاتهم الحقيقة إلى مجتمعات مغلقة صنعوها لأنفسهم وانعزلوا بها عن المجتمع، وإذا كانت هذه العزلة قد صنعت لهم فقها خاصا بهم أوصلهم إلى الدخول في حرب لا تنتهي مع مجتمعاتهم أولا ثم مع الدنيا كلها، وإذا كانوا قد تجاوزوا ذلك كله إلى الاستهانة بحرمة دماء الناس كلهم، يفعلون ذلك وهم يظنون أنه الجهاد الذي شرعه الله للمسلمين، وأن طريقهم إلى الجنة، إذا كان ذلك كله قد وقع فإنه لا ينسب إلى الإسلام، ولا يجوز أن يحاسب سائر المسلمين كما لو كانوا شركاء فيه، ذلك أنه «لا تزر وازرة وزر أخرى» «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»، وفي الحضارة الغربية والشرائع الغربية مبدأ مقرر ومتفق عليه مؤداه أنه لا إدانة لمجرد الانتساب no guilt by association فلماذا تنسى اليوم هذه الحقائق كلها، ولماذا ينسى مبدأ شخصية الجرم وشخصية العقوبة، وكيف يدان ملايين العرب والمسلمين، لأن أفرادها من العرب والمسلمين ارتكبوا أعمالا لم يستشيروا فيها أحدا، ولم يقرها عليهم أحد، ثم وكيف ينسى التاريخ القريب الموصول من التعايش والتعاون بين أبناء الحضارة العربية الإسلامية وبين

أبناء الحضارة المسيحية التي تضم إلى جانب مصدرها العقلي اليوناني الأصل مصدرًا دينيًّا هو العقيدة المسيحية التي يجلها المسلمون ويجلون معها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما يجلون أمه العذراء البتول التي سميت باسمها سورة كاملة من سور القرآن الكريم الذي يصلون به ويتعبدون، ويتلونه أناء الليل وأطراف النهار.

الأمر الثالث: أن الحضارات ليست ولم تكن يوما ما في حالة تجمد وثبات وسكون، وإنما هي في حركة دائمة، وتطور متصل الحلقات، والحضارات المعاصرة تعيش كلها أزمة حقيقية حين تمر بمرحلة انتقال سريع صنعتها الثورات العلمية والصناعية التي تتابعت خلال الخمسين سنة الأخيرة، والتي تضاعفت سرعتها خلال هذه العقود الخمسة، خصوصا في ميادين الانتقال والاتصال والمعلومات، وقد أدرك أهل الفكر في الحضارات المعاصرة مدى تأثير تلك الثورات على أحوال الفرد، وأحوال الأسرة، وأحوال الجماعة كلها، وأن هذا التأثير الذي لا فكاك منه، يقتضي منهم وقفة جديدة يراجعون بها تراثهم وتقاليدهم وكثيرا من أفكارهم، ويحققون من خلالها التوازن الذي لا غنى عنه بين ثوابت الفكر والاعتقاد التي تحقق السكينة الداخلية للإنسان الفرد، كما تحقق التواصل بين أجيال الناس وبين ضرورات التطور لملاقاة التغيرات الجذرية التي أحدثتها الصورة العلمية بتجلياتها المختلفة، وتداعياتها العملية التي لا نهاية لها. ومن المحقق أن عقلاء الأمة وحكماءها ومثقفيها يدركون ذلك كله، وهم منذ سنوات عديدة يمارسون عملية مراجعة وتأمل ونقد ذاتي لأحوالهم وأنماط سلوكهم، ويديرون من أجل ذلك حوارًا جادًّا به أجيالهم المقبلة من إدمان أنظر إلى الماضي والانشغال به عن المستقبل، ويحققون به لأنفسهم شروط النهضة والتقدم، متوالسين ـ في ذلك كله ـ مع شعوب الدنيا ومستفيدين من تجاربها، وفاتحين عقولهم وصدورهم لكل جديد نافع، ومن المؤسف أن هذه الملحمة الثقافية التي تعيشها اليوم شعوبنا العربية والإسلامية لا تزال خافية عن أعين الساسة في الغرب ـ بصفة عامة ـ وفي الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، وهذا الخفاء هو الذي يفسر الأحكام السطحية المتعجلة التي نرى صداها في تصريحات أولئك الساسة وهم يتحدثون عن الإرهاب الإسلامي، أو عن الجهاد الإسلامي ضد الولايات المتحدة، أو عن حتمية الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

ولا شك أن جزءًا كبيرا من المسئولية عن استمرار هذا الخفاء يعق على عاتقنا نحن العرب والمسلمين، على ساستنا ومثقفينا وجميع المشتغلين بالإعلام في عالمنا العربي والإسلامي، وذلك حين قصروا كذلك في نقد صور عديدة من صور الفكر الديني المعوج، وبيان مدى مخالفتها لجوهر الإسلام وتصوراته الأساسية، ومدى ما تلحقه من ضرر بالأمة كلها، في خاصة أمرها، وفي علاقتها بسائر الأمم والشعوب.

وفي مجال البحث عن أول طريق المستقبل بين الحضارات، فإن الأمر يستهدف إعادة الثقة والاطمئنان، يحول دون المواجهة والصدام، ويفتح الباب واسعا للتعاون في محاربة جميع صور الإرهاب، ولإقامة نظام سياسى وثقافى عالمي جديد يقوم على العدل وعلى مشاركة الجميع دون هيمنة أو استبعاد أو إقصاء على النحو المؤسف الذي طبع العلاقات الدولية طوال القرن الماضى، جرت محاولات عديدة لاكتشاف القيم المشتركة بين الحضارتين، كان من بينها الأمور الآتية التي يتلقي عندها التياران العريضان الواسعان المعبران عن روح الحضارتين.

إن الحضارتين إيمانيتان، تؤمنان بإله واحد، وإن تعددت واختلفت بينهما تفاصيل هذا الإيمان، وبأن الناس جميعا موقوفون ـ يوما ما ـ بين يديه ليحاسبهم على ما قدموه وما أخروه، وهذا الإيمان هو المدخل الأكبر لمراقبة النفس، وللالتزام الأخلاقي والسلوكي لدى الأفراد والجماعات.

إن الحضارتين تؤمنان بالإنسان، مخلوقًا مكرمًا ومفضلا من خالقه على أكثر مخلوقاته، وهو المعنى الذي تقرره الآية «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» سورة الإسراء، ومن هذا التكريم والتفضيل تتفرع حقوق الإنسان وحرياته الشخصية والمدنية والسياسية.

إن الحضارتين تقران الشورى في الأمور العامة، أو الديمقراطية على ما عرفتها الحضارة الغربية باعتبارها أفضل الصيغ لإدارة شئون الجماعة، وبها تتحقق مشاركة الجميع في كلما تعود آثاره على الجميع، وعن طريقها يتحقق ـ كذلك ـ معنى الانتماء والولاء للجماعة.

إن للحضارتين منظومة قيم مشتركة في مقدمتها القاعدة المسماة بالقاعدة الذهبية، والتي يلخصها الحديث الشريف «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وهذه بعض شهادات المنصفين من الغرب حول الإسلام:

يقول الكاتب: ت كولر يونج T. C. YOUNG:

إن الدين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين داخل هذه الألف سنة، نسافر إلى العواصم الإسلامية، و إلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم، وفلسفة الحياة الإنسانية، يجب التذكير به دائما، في حب واعتراف بالجميل[١].

«لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطليعى خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقى وغيره من ألوف التراث العلمي الذي تقدم عليهم في التاريخ نقلوه إلى اللغة العربية، التي كانت لغة علم وثقافة، وأثر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوربية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالبا وواضحًا ومؤثرًا في عديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشرى، ونظرية التطور قبل «داروين» بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل «هارفى» بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل نيوتن بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس الانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الإجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالى البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالا أن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوربية. فالفكر العربي الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات، امتدت من الحضارات القديمة، من مصرية، وآشورية، وبابلية، وصينية، إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي قرأوا أعمال العلماء العرف في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية».

يذكر د/ سيمون الحايك:[٢]

«لقد حافظت الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية من الضياع، إذ لولا

(١) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ص ٥ نشر الشعبة القومية المصرية للتربية والعلوم الثقافية القاهرة ١٩٨٧.

(٢) في كتاب «نقل الحضارة العربية إلى الغرب»، ص ١٣ - ١٥ المطبعة البولسية ببيروت ١٩٨٧م.

المثقفون والعلماء العرب، ملا وصلت إلى أيدي الناس مؤلفات يونانية كثيرة مفقودة في أصلها اليوناني ومحفوظة بالعربية، ولقد ظل الغرب يشتغل على الثقافة العربية حتى بعد أن تقلص ظلها في الأندلس بجيلين أو أكثر حتى وصل إلى العصور الحديثة، وظلت الثقافة العربية الإسلامية تستهوى الكثيرين من أبناء العالم الغربي، إذ لم تتوقف الترجمة عن العربية في عصر النهضة وما بعد عصر النهضة، رغم الاتصال المباشر بالعالم اليوناني والحضارة اليونانية اعتبارا من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد عندما بدأت الكتب اليونانية تنقل رأسا إلى اللاتينية من دون الاستعانة بالترجمات العربية. فالثقافة العربية لها قيمتها وشخصيتها، فقد انتجت الكثير مما لم تستطع الثقافة اليونانية إنتاجه في الحقول كافة: إضافات وتعليقات وابتكارات واكتشافات عربية لم يعرفها اليونان.

إن حركة النقل من الثقافات العربية الإسلامية التي خرجت بها أوربا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة، لم تقتصر على نقل المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فحسب. إن أوربا المسيحية قد نقلت أيضًا معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطا من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة وحياتها الخاصة».

## العالم الحديث

يذكر د. عبد الفتاح مقلد الغنيمى:[1]

أن العالم الغربي درس الثقافة العربية الإسلامية، واعتبرها تراثا عظيما يستحق الدراسة والتحليل، ولقد كان العرب والمسلمون يمثلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة؛ كانوا روادًا في المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون العلماء في أوربا من الثقافة العربية الإسلامية أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبى والاستقرائى، بحيث وجد الأوربيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة العربية الإسلامية ضآلتهم المنشودة، فعكفوا على نشره.

(١) في كتابه «الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين» ص ٥٣ مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٩٥م.

## المبحث الخامس

## ورغم هذا: فلماذا العداء من الغرب للإسلام؟

مارس الغرب العدوان على «الآخر الحضاري» وبالذات «الآخر الإسلامي» - ذلك الميراث المشوه والعدائي الذي حفلت به ثقافته المدنية تاريخيًّا، على اختلاف حقولها وميادينها، إزاء الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته.. وهو الميراث الذي لا يزال فاعلًا في الإعلام الغربي.. والتعليم الغربي.. ودوائر الفكر والدراسات.. وعند صناع القرار حتى كتابة هذه الصفحات!..

ففي الثقافة الشعبية الغربية تتعلم الجماهير من «ملحمة رولاند» - حوالي سنة ١٠٠٠م - أن المسلمين يعبدون الثالوث:

١- أبوللين Apollin.

٢- وتير فاجانت Tervagant.

٣- ومحمد Mohamed.

وأن المسلمين يعظمون يوم الجمعة، لأنه يوم إلهة الحب «فينوس» Venus بينما المسيحيون يعظمون يوم الأحد لأنه يوم الرب!.

ولقد لعبت هذه الصورة التي شاعت في الثقافة الشعبية الأوربية - دورها في تجييش أحقاد العامة والدهماء في الحملات الصليبية ضد الإسلام وأمته وعالمه وحضارته فتحدثت هذه الملحمة «ملحمة رولاند» عن المسلمين فقالت لهؤلاء الدهماء: «انظروا إلى هذا الشعب الملعون! إنه شعب ملحد لا علاقة له بالله وسوف يمحي اسمه من فوق الأرض الزاخرة بالحياة لأنه يعبد الأصنام. لا يمكن أن يكون له خلاص، لقد حُكم عليه فلنبدأ إذن تنفيذ الحكم باسم الله!..» ثم تبدأ ملامح القتال الصليبي بعد تلاوة هذا الذي جاء في «ملحمة رولاند»[1].

---

(١) صورة الإسلام في التراث الغربي - ص ٢٥، ٢٦، ٤٣.

والشاعر الإيطالي «دانتي» (١٢٩٥-١٣٢١م) والذي مثل مرجعية كبرى في الثقافة الغربية - يضع رسول الإسلام ﷺ وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم لأنهم بنظره التنويري - من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في سعير «الكوميديا الإلهية».[١]

أما جوته - الألماني - (١٧٤٩-١٨٣٢م) فإن رسول الإسلام - عنده - «قد نصب حول العرب غلافًا دينيًا كثيفًا، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل في أي تقدم حقيقي!...»[٢]

ولهذا التشويه الذي حفلت به الثقافة المدنية العلمانية الغربية - تشويه الآخر الإسلامي.. والدعوة إلى إنكاره واستئصاله ولتزامل هذا الموقف الثقافي المدني مع الموقف الثقافي اللاهوتي - في الحضارة الغربية - رأينا امتدادات هذا الموقف تسود في الرؤية الغربية المعاصرة للإسلام وأمته وعالمه وحضارته.. وتصبح لها تأثيراتها على صانع القرار في المشروع الغربي المتحالف مع المشروع الصهيوني ضد نهضة الشرق الإسلامي وحق تقرير المصير للشعوب المسلمة و إسلامية النموذج الحضاري في عالم الإسلام.

فالرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» وهو من رجالات الإستراتيجية يقول - عن صورة الإسلام والمسلمين - في العقل الأمريكي المعاصر: «إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويين وغير منطقيين وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون - بالصدفة - على بعض الأماكن التي تحوي ثلثي النفط الموجود في العالم وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة حتى بالنسبة إلى الصين الشيوعية في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي.

ويُحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة، سوف يؤلف المسلمون مخاطر كبيرة وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي..

(١) المرجع السابق، ص ٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٧.

ويُزيد هذا الرأي: أن الإسلام والغرب متضادان وإن نظرة الإسلام لعالم تقسمه إلى قسمين: «دار الإسلام» و«دار الحرب» حيث يجب أنت تتغلب الأولى على الثانية وأن المسلمين يوحدون صفوفهم لقيام بثورة ضد الغرب وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة..»[١]

وإذا كان «نيكسون» قد شهد بأن الإسلام والمسلمين هم أسوأ الصور في ثقافة أغلبية الأمريكيين.. الأمر الذي جعلهم يدعون إلى تحالف الأعداء - الليبرالية الرأسمالية والشمولية الشيوعية - أي كل الغرب - ضد الآخر الإسلامي.. فلقد سألت مجلة «النيوز ويك» الأمريكية رئيس المجلس الوزاري الأوربي السياسي الإيطالي البارز «جياني ديميكليس»:

ما مبررات بقاء حلف الأطلنطي (الناتو) بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والمعسكر الذي كان اشتراكيًّا؟

فأجاب رئيس المجلس الوزاري الأوربي:

«صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي».

فلما عاد مراسل «النيوز ويك» ليسأل:

«وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة».

لم يتردد «جياني ديميكليس» في أن يُعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضاري الغربي، وقبول المسلمين له أي «إلغاء الآخر الحضاري الإسلامي».. فقال:

«ينبغي أن تحل أوربا مشاكلها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولًا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكانًا في منتهى الخطورة»[٢].

---

(١) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة) ص ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩ - ترجمة: أحمد صدقي مراد. طبعة دار الهلال القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٢) الأهرام - عدد ١٧ يوليه سنة ١٩٩٠م - من مقال: فهمي هويدي «من يُعادي من؟» وهو ينقل عن عدد «نيوز ويك» الصادر في يوليو سنة ١٩٩٣م.

فالمطلب الغربي هو «إلغاء الآخر الحضاري الإسلامي» سلمًا بقبول المسلمين للنموذج الحضاري الغربي أو حربًا بواسطة آلة الحرب الأطلنطية إذا هم لم يتنازلوا عن نموذجهم الحضاري الخاص.

أما مجلة «شئون دولية» International Affairs التي يُصدرها المعهد الملكي للشئون الدولية بجامعة «كامبردج» البريطانية فإنها تقدم التفسير الثقافي والحضاري لإعلان كثير من مؤسسات المشروع الغربي أن الإسلام هو العدو الذي حل محل «إمبراطورية الشر الشيوعية» فإذا بجوهر أسباب هذا الإعلان لهذا العداء هو رفض الإسلام وعالمه التخلي عن النموذج الثقافي والحضاري المتميز واستعصاء الإسلام على الذوبان في النموذج العلماني الغربي!.. فلهذا السبب أصبح الإسلام «من بين الثقافات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة».

لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي وبالنسبة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول.

إن أوربيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة وطويلة ومؤلمة؟ أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحي (الغربي) الذي يميز بين ما لله وما لقيصر وبما لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية؟

إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع والتي تقول: «إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الإيمان الديني صالحة على العموم.. لقد تناقص التأثير السياسي والسيكولوجي للدين عمليًّا في كل المجتمعات وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة لكن عالم الإسلام استثناء مدهش وتام جدًّا من هذا! فلم تتم أي علمنة في عالم الإسلام. إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به هي سيطرة قوية وهي بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من مائة سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعلمنة نوعًا ما والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحًا في ظل مجموعة مختلفة من النظم السياسية فهو صحيح في ظل نظم راديكالية

(ثورية) اجتماعيًّا وهو صحيح أيضًا في ظل النظم التقليدية وهو صحيح بالنسبة إلى النظم التي تقف بين النوعين.

إن وجود تقاليد محلية للإسلام قد نمكن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعضلة التي أرقت مجتمعات أخرى «غير متطورة» أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال معضلة إضفاء الطابع المثالي على الغرب ومحاكاته لقد امتلك الإسلام مقومات الإصلاح الذاتي باسم الإيمان المحلي وذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العلمنة.

إن الإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللاإرادية وفتور الهمة واللامبالاة وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًا فضلًا عن هلاكها المعنوي..[١]

فامتلاك الإسلام مقومات التجدد الذاتي ومعالم المشروع النهضوي المؤمن هو الذي جعله مستعصيًا على العلمنة واستثناء من بين ثقافات الجنوب في رفض التغريب والذوبان في النموذج العلماني الغربي الذي ربط الديمقراطية بالعلمنة التي تفصل بين ما لله وما لقيصر!.. ولذلك كان إعلان الغرب «أن الإسلام هو العدو الذي حل محل إمبراطورية الشر الشيوعية»[٢].

والتهديد بتوجيه آلة الحرب الأطلنطية إلى العالم الإسلامي الرافض لنزعة المركزية الحضارية الغربية التي لا تريد في العالم سوى نموذجها الحضاري وبعبارة «جياني دميلكس»: «أن يصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولًا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكانًا في منتهى الخطورة».

---

(١) مجلة « شئون دولية « لندن - عدد يناير سنة ١٩٩١م - ففي هذا العدد «ملف» عن الإسلام فيه دراسة عن «المسيحية والإسلام» لإدوارد مورتيمر، والثانية عن «الإسلام والماركسية» لأرنست جيلنر.

(٢) هذه العبارة نص تصريح «ويلي كلايس» الأمين العام لحلف الأطلنطي في منتصف تسعينات القرن العشرين.

فإما تغريب العالم وإلغاء «الآخر الحضاري» وإما المواجهة على اختلاف آلياتها وميادينها.(١)

ولهذه الحقائق التي تعلنها النصوص الغربية ومن قبلها جسدتها وتجسدها «الممارسات الغربية» والرافضة للآخر «الديني» و«الحضاري» كانت قراءتي مختلفة لما كتبه «صامويل ب. هانتنجتون» عن «صدام الحضارات» فالرجل كمفكر إستراتيجي - يهودي الديانة - أمريكي الجنسية قريب من دوائر صنع القرار - لم يكن داعيًا ومبشرًا بصدام الحضارات وإنما كان كاشفًا عن موقف الغرب الذي يُمارس تاريخيًا وحاليًا صدام الحضارات.

وإذا كنا في التاريخ الحي والفاعل قد تعرضنا لاستعمار الغرب غزوًا عسكريًا وقهرًا حضاريًا ونهبًا اقتصاديًا وتغريبًا ثقافيًا لأكثر من أربعة عشر قرنًا عشرة منها بدأت بالإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٤ق.م) واستمرت حتى التحرير الإسلامي الذي أزال بالفتوحات الإسلامية امتدادات غزوة الإسكندر الأكبر وقرنان من هذا الغزو الغربي عشناهما في ظل حروب الفرنجة «الحملات الصليبية» ودولها وكيانها الاستيطانية (٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) وأكثر من قرنين ما زلنا نعالج آثار الغزوة الغربية فيهما منذ حملة بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) على مصر وحتى كتابة هذه السطور (١٢١٣-١٤٢١هـ/١٧٩٨-٢٠٠١م) بل إن عمر هذه الموجات الاستعمارية الغربية ضد الشرق يمكن أن يبلغ ستة عشر قرنًا لا أربعة عشر إذا نحن أضفنا مرحلة الالتفاف حول العالم الإسلامي واستعمار شرقي آسيا والتي بدأت عقب سقوط غرناطة (٨٩٧هـ-٤٩٢م) وحتى غزو بونابرت لقلب العالم العربي.

إذا كانت هذه هي «الممارسة الغربية» ضد «الآخر الإسلامي» فإن «هانتنجتون» ليس بمخترع لهذا الذي مارسه الغرب عبر هذا التاريخ الطويل.. وإنما الرجل كان في الحقيقة «كاشفًا» عن هذه النزعة الصراعية الغربية ضد الإسلام وعالمه وهذا هو معنى عبارته «إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام».

لكن لأن «هانتنجتون» ملتزم بمصالح الغرب وابن لليهودية التي تمثل مع التراث المسيحي البعد الروحي للحضارة الغربية فلقد حاول تمييع الموقف عندما جعل هذا

(١) محمد عمارة (الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟) القاهرة - مكتبة الشروق - ٢٠٠١م - ص ١٤٢

الصراع موقفًا مشتركًا وفعلًا متبادلًا بيننا وبين الغرب على حين كنا نحن الضحايا لهذه النزعة المركزية الحضارية الغربية ولهذه الفلسفة الصراعية - التي مثلت ولا تزال - جزءًا من البنية العضوية والروح السارية في الحضارة الغربية وهو «هانتنجتون» بهذا الموقف لا يُزيف الحقيقة فقط وإنما يتجاهل موقف الإسلام وأمته وحضارته إزاء «الآخر» بل ويتجاهل رفض الإسلام للفلسفة الصراعية وتبنيه بدلًا منها لفلسفة «التدافع» الذي هو حراك سياسي وديني وفكري واجتماعي يصحح مواقف الظلم والجور والخلل ليعيد علاقات الفرقاء المتمايزين والمختلفين إلى نقطة العدل والتوازن دون أن يذهب بالصراع إلى صرع الآخر وإلغائه وأيضًا دون أن يتبنى موقف السكون والسلبية الذي يدع العالم ومجتمعاته غابة يفترس الأقوياء فيها الضعفاء فالإسلام رافض لمذهب الصراع وفلسفته ومنحاز إلى التدافع الحضاري وفلسفته لأن التعددية والتمايز والاختلاف والتنوع - بنظر الإسلام - سنة من سنن الله الكونية والتكوينية في مختلف ميادين الوجود والحياة فالأُحدية فقط هي للذات الإلهية وما عدا الذات الإلهية قائم على سنة وفلسفة التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف وإذا كان الصراع هو مقبرة التعددية: -

﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧-٨].

فإن فلسفة الإسلام مع التدافع ولا يمكن أن تكون مع الصراع وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]

وأخيرًا.. فإن «هانتنجتون» كمستشار مؤتمن لصانع القرار الغربي قد أشار على «قومه» بترتيب الأولويات في معارك صراع الغرب مع الآخرين فدعاهم إلى البدء بكسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية (الصينية) مع تحييد الحضارات الأخرى حتى يفرغ الغرب من الإسلام والصين وبعد ذلك يستدير الغرب للصدام مع الحضارات التي حيدها والتي أبت تبني النموذج الغربي والذوبان في التغريب.[1]

(١) محمد عمارة (الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟) سلسلة في التنوير الإسلامي - طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨م.

## المبحث السادس
## تحديات في طريق التقارب بين الإسلام والغرب

### أولًا: الفهم الخاطئ للإسلام:

والإسلام بين الاعتدال والوسطية يكوه التطرف والغلو في الدين ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم ورغم تعاليم الإسلام الواضحة في هذا الشأن إلا أن هناك اتجاهات تفسير الإسلام على هواها وتريد أن تشده ناحية اليمين أو ناحية اليسار بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما دينًا جامدًا منغلقًا لا يقوى على مسايرة الزمن ولا يراعي متغيرات الحياة وبذلك يشدونه إلى فهمهم السقيم ويُضيقون رحمة الله الواسعة وإما أن يجعل منه فريق آخر دينًا دمويًا عدوانيًا متعطشًا لسفك الدماء وكلا الاتجاهين لا مكان له من الحقيقة ولا يُعبر إلا عن الرؤى المريضة لمن يتحدثون بها.

فالإسلام إذ يرفض الجمود والانغلاق والتقوقع فإنه من ناحية أخرى يرفض رفضًا قاطعًا كل شكل من أشكال العنف أو العدوان أو القتل والتخريب ويسمي القرآن ذلك بأنه إفساد في الأرض يعاقب مرتكبوه بأشد العقاب في الدنيا ثم في الآخرة: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

والفهم الخاطئ للإسلام يرجع إما إلى جهل أصحابه بجوهر تعاليم الدين كما هو الحال لدى الفريق الأول أو خداع الجماهير برفع شعارات دينية لتحقيق أغراض دنيوية كما هو الحال لدى الفريق الثاني.

والأمر يحتاج إلى كشف زيف هذه التفسيرات الباطلة في كلتا الحالتين وإبراز قيم الإسلام السمحة التي تحض على الرحمة والتراحم والعدل حتى مع الأعداء.

وربما يكون الفريق الأول حسن النية في مقابل سوء نية الفريق الثاني ولكن حسن النية قد يؤدي إلى عواقب وخيمة لا تُحمد عقباها فالصديق الجاهل قد يكون أشد خطرًا - دون أن يدري - من العدو العاقل على الأقل لأن العدو يسفر عن عداوته وبالتالي يمكن

أخذ الحذر منه والاستعداد لمواجهته أما الصديق الجاهل المحسوب على الإسلام والذي يُبدي أشد الحرص على حمايته بأسلوبه المتخلف فإنه بذلك يمثل عقبة في طريق التقدم ولا يستطيع أن يفهم ما يدور حوله من تطورات فضلًا عن فهم جوهر الإسلام وروحه بوصفه دينًا حضاريًّا إنسانيًّا بكل معنى الكلمة.

وحتى يستطيع الإسلام أن يتجه بخُطى ثابتة وحيثية نحو المستقبل فلابد لأتباعه من التخلص من هذا المرض المزدوج وذلك عن طريق الفهم المستنير للإسلام وتعاليمه والكشف عن الوجه الحضاري لهذا الدين الذي تتماشى تعاليمه مع كل زمان ومكان وبيان قدرته على التطور ومواجهة متغيرات الحياة وقدرته الذاتية في الصمود أمام كل التحديات وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك.

وإذا اتضح لجماهير المسلمين أن الإسلام بريء من جهل أصدقائه ومن شذوذ من يدعون أنهم يقتلون دفاعًا عنه فإن ذلك يمهد السبيل للتغلب على الصعاب والتحديات الأخرى الخارجية والتي تتخذ من الفهم الخاطئ للإسلام من جانب هذين الفريقين ذريعة لوصم الإسلام بكل الرذائل.

### ثانيًا: الخوف من الإسلام في الغرب:

أثناء الحرب الباردة كان الغرب ما يزال في حاجة ماسة إلى المعاونة من جانب الإسلام في صراعه مع الشيوعية أو لنكن أكثر واقعية ونقول: كان في حاجة إلى مهادنة الإسلام فالغرب يعلم علم اليقين أن الإسلام والشيوعية لا يجتمعان ومن هنا فقد كان من المفيد للغرب أن يتعاون مع الإسلام في هذا الصدد ولكن بعد أن انتهت الحرب الباردة وسقطت الشيوعية بسقوط الاتحاد السوفيتي السابق في بداية التسعينات لم يعد الغرب في حاجة إلى الإسلام فانتهت سياسة التعاون والمهادنة.

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو فإذا لم يكن هناك عدو حقيقي فليتصور عدوًّا وكان العدو المتصور هو الإسلام.

وانتشرت في الإعلام الغربي فكرة الخوف من الإسلام أو ما يُطلق عليه «إسلاموفوبيا» ولم يستطع كبار المسئولين في الغرب أن يُخفوا هذا التصور فورد ذلك على لسان الأمين العام السابق لحلف الأطلنطي وكان ما يزال في منصبه المهم كما ورد على لسان أحد الرؤساء في الغرب.

وبدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي والخطر الذي يتهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر والذي هو الإسلام في زعمهم واختلطت الأوراق وتاهت الحقائق وسط التدفق الإعلامي الغربي في هذا التيار الجارف.

وقد ساعد على شيوع هذا التصور تزايد موجات العنف في بعض البلاد الإسلامية ومن المفارقات الغريبة أن الغرب نفسه بدأ يوفر الملجأ والملاذ وحرية الحركة لرؤوس الإرهاب في العالم الإسلامي.

وهذا التوجه الغربي يُعني عدم السماح بتطوير قدرات العالم الإسلامي العسكرية بل وحتى الاقتصادية والعلمية رغم ما يُغدقه الغرب من إمكانات هائلة على إسرائيل التي زرعها الغرب شوكة في ظهر العرب لتعوق أي طموحات في تطوير قدراتهم وتنمية بلادهم ويعني أيضًا عدم السماح للعالم الإسلامي بأي نصيب من المشاركة في رسم سياسة العالم عن طريق تمثيل العالم الإسلامي بمقعد دائم في مجلس الأمن.

وأذكر أنني شاركت عام ١٩٩٣م في مؤتمر دولي بالعاصمة النمساوية فينا حول موضوع «السلام من أجل الإنسانية» وتقدمت باقتراح يقضي بضرورة أن يكون للعالم الإسلامي الذي يمثل أكثر من خمس سكان العالم مقعد دائم في مجلس الأمن وقلت آنذاك: «لكي تتاح الفرصة أمام المسلمين للإسهام بفاعلية في سلام العالم اقترح أن يحصلوا على مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي وينبغي أن يكونوا ممثلين في هذا المجلس بدولة يختارونها من بين الأعضاء الممثلين في منظمة المؤتمر الإسلامي. فالمسلمون يؤلفون خُمس سكان العالم ومن أجل ذلك فإن من حقهم أن يكون لهم صوت مسموع».

ولكن عز على بعض المشاركين أن يكون للمسلمين مثل هذا الدور فعارضوا الاقتراح بحجة تنم عن مغالطة مكشوفة إذ زعم البعض أن ذلك يعني أن يكون هناك أيضًا تمثيل في مجلس الأمن للفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي.. إلخ وأن يصبح المجلس مكونًا من

مشايخ وقساوسة وهذا كلام يُعد من قبيل الهزل في وقت الجد. فالأمر يتعلق بتمثيل شعوب يبلغ تعداد سكانها خُمس سكان العالم ولا علاقة له بتمثيل الدين كدين وفضلًا عن ذلك فإن الشعوب المسيحية في أوربا ممثلة بأربعة من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية.(١)

**ثالثًا: صراع الحضارات:**

ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام الترويج في الغرب لنظرية صراع الحضارات وأن هذا الصراع أمر حتمي وبطبيعة الحال يوضع في الحسبان في هذا التفكير - بالدرجة الأولى - صراع الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ويستعيد البعض ذكريات الماضي القريب والبعيد لهذا الصراع.

والهدف في النهاية هو ضرورة هزيمة الحضارة الإسلامية حتى تتمكن حضارة واحدة وهي الحضارة الغربية بأن تكون لها اليد الطولى والسيطرة على العالم كله وتتأكد بصورة قاطعة فكرة العولمة التي سنتحدث عنها فيما بعد ولعل ذلك كله يُشكل مقولة نهاية التاريخ التي يتم الترويح لها أيضًا.

وقد سبق للفيلسوف الألماني المعروف «هيجل» الذي توفى عام ١٨٣١م أن أشار في كتابه المعروف «فلسفة التاريخ» إلى أن الإسلام قد اختفى منذ زمن طويل من أرض التاريخ العالمي أي: لم يعد له تأثير في توجيه أحداث التاريخ بعد أن ركن إلى الاسترخاء واستسلم إلى السكون الشرقي. وهنا كما يحدث أيضًا في الكتابات الغربية المعاصرة عن الإسلام: يتم الخلط بين الدين الإسلامي وبين الواقع الحضاري المتخلف الذي الأمة الإسلامية. وهذا الواقع يمثل مرحلة عارضة في تاريخ المسلمين، وليس حكمًا أبديًا بالجمود والتحجر على خمس سكان العالم.

وحقيقة الأمر أنه إذا كان البعض يتبنى في الغرب نظرية حتمية صراع الحضارات فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمرًا حتميًّا لا مفر منه لأن الصراع القائم بين البشر لا يقتصر

(١) محمود حمدي زقزوق - هموم الأمة الإسلامية - مرجع سابق - ص: ٤٢

على الصراع بين الحضارات فهناك أيضًا صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة وما أكثر مثل هذه الصراعات في عالمنا الذي نعيش فيه.

ولكن موقف الإسلام المبدئي الثابت يتلخص في أن تعددية الأجناس في المجتمعات البشرية أو بمعنى آخر تعددية الحضارات واختلافها لا يجوز أن تكون مدخلًا للنزاع والشقاق وأن تمثل عائقًا أمام توحيد جهود الناس وتآلفهم فيما بينهم فالتعددية ينبغي أن تفتح الطريق أمام التعارف والتعاون والتوحد. وهنا تكمن المهمة الإنسانية التي ينبغي على الإنسان حيثما كان موقعه أو معتقده أن يتحمل مسئوليتها. ويُشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهنا جعل القرآن الاختلافات بين البشر مدخلًا للتعارف والتآلف والتعاون لا مقدمة للنزاع والشقاق والصراع. فنظرية الصراع الحتمي للحضارات مرفوضة أساسًا من الإسلام الذي يقرر أن الناس جميعًا قد خُلقوا من نفس واحدة وأن العدوان على نفس واحدة يُعد عدوانًا على البشرية كلها وليس على طائفة معينة أو حضارة بعينها. ومن هنا فإن التصور الإسلامي أوسع دائرة وأرحب أفقًا وأعمق في إنسانيته من تلك التصورات العنصرية التي تسعى إلى إعلاء شأن حضارة ما على غيرها من الحضارات والثقافات.

### رابعًا: العولمة:

ومنذ سنوات مضت ظهر الحديث عما يُسمى بالنظام العالمي الجديد، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وأصبح الحديث عن «العولمة Globalization» أمرًا مطروحًا.

وعلى الرغم من أن ملامح هذا النظام العالمي الجديد أو العولمة لم تتضح بصورة قاطعة فإن الهدف من هذا النظام الجديد أو العولمة - أو الكوكبية أو الكونية كما يحلو للبعض أن يُسميه - لم يعد يخفى على أحد فالمقصود هو أن هناك حضارة غربية قائمة لها قيم ولها معايير معينة وعلى الجميع في العالم أن يتواءم معها وأن يعتنق مبادئها ونظمها إذا أراد لنفسه مكانًا في مسيرة العالم.

وهذا يُعني أن تسود حضارة واحدة بقيمها ومثلها وأن يترسخ مفهوم العولمة أو القطب الواحد في الأذهان. وبذلك يختفي مفهوم التعددية الحضارية المتعارف عليه منذ فجر التاريخ. ومن ثم يصبح الخضوع لنظام العولمة أمرًا لا مفر منه ولا فكاك لأي دولة في العالم من أن تنضوي تحت لوائه وإلا فإن الزمن والأحداث سوف تتجاوزها.

ويُعد نظام العولمة - بالمفهوم المشار إليه - من التحديات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في القرن القادم فهل يمكن إخضاع الإسلام والمسلمين لهذا النظام حيث تختفي الحواجز الحضارية والثقافية في العالم الجديد؟

إن حقائق الدين الإسلامي وطبيعته ووقائع التاريخ تبين أن الإسلام لا يمكن أن يذوب في أي نظام آخر، فله ذاتيته المستقلة وكيانه الخاص. ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أية كيانات أخرى لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام منذ قامت للإسلام دولة وترسخت في دستور المدينة الذي أعلنه محمد ﷺ.

وقد كانت الحضارات في البلاد التي دخلها الإسلام روافد أثرت الحضارة الإسلامية. فالإسلام يعتبر الحضارات إنجازًا إنسانيًا وإضافات للتراث الإنساني الذي هو بطبيعته أخذ وعطاء. ولا توجد أمة عريقة في التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث. وإذا كان الأمر كذلك فإن هدف نظام العولمة يُعد مناقضًا لطبيعة الأمور فلا يمكن أن تذوب السمات الحضارية الأساسية للشعوب وبخاصة الشعوب العريقة التي لها بصمات حضارية لا تُمحى في سجل التاريخ.

والإسلام إذ يقر التعددية الدينية والحضارية فإنه من ناحية أخرى يُقر في الوقت نفسه بأن هناك قواسم مشتركة بين كل الحضارات. وهذه القواسم المشتركة تُعد المدخل الحقيقي للتعاون بين الحضارات وليس الصراع فيما بينها. ومن هنا كان تأكيد القرآن الكريم على أن الاختلافات بين الشعوب لا يجوز أن تكون عائقًا أمام التعارف والتآلف والتعاون بين الأمم والحضارات، كما سبقت إليه في الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ومن ذلك يتضح أن الإسلام سيقف صامدًا أمام كل محاولة لتذويبه في أية حضارة أخرى أو أي نظام عالمي يسعى إلى خير الإنسان وتقدمه وازدهاره.

## المبحث السابع
## رؤية تحليلية للكتابات التي تناولت علاقة الإسلام بالغرب

### ١- كتاب صراع الحضارات لهينتجون:

منذ بدأت حوادث الأزمة العالمية الراهنة في الحادي عشر من سبتمبر الماضي بتدمير مركز التجارة العالمي في نيويورك، ربما لم يتم استخدام تعبير بين الساسة والصحفيين والكُتاب قدر «صراع الحضارات» وربما لم يتم استدعاء مؤلف إلى ذاكرة الحديث مثل ذلك المقال الشهير الذي نشره عالم السياسة الأمريكي «صمويل هنتنجتون» في مجلة «فورين أفيرز» أو الشئون الخارجية في عددها الصادر في صيف ١٩٩٣م وكان عنوانه «صدام الحضارات». وجاءت هذه الشهرة الجديدة للمقال من قبل جماعات متفرقة متناقضة كان منها من تحمس لها في البداية من اليمين الغربي بألوانه المتنوعة وظل على حماسه لها حتى النهاية. أنها تعزل الغرب عن باقي الحضارات الأخرى وتجعله فريدًا لم تعرف البشرية له مثيلًا من قبل. كما كان منها اليمين الغربي الذي رآها تعبيرًا عن نوايا الغرب «الحقيقية» وتصديقًا لرؤى تبناها منذ وقت طويل وهي أن الحروب الصليبية لم تنته بعد ولا تزال باقية معنا في القرن الواحد والعشرين. وكان منها أخيرًا مجموعة من الاعتذاريين - من بينهم عدد لا بأس به من الإسرائيليين - الذين استنكروا النظرية منذ البداية ثم رأوا أن الأحداث أثبتت صحتها سواء في نيويورك أو كابول أو فلسطين أن الحضارة اليهودية المسيحية تقف في جانب بينما تقف الحضارة الإسلامية على الجانب الآخر.

هذا البعث الجديد لنظرية صراع الحضارات بعد أن ساد الظن أنه تم التخلص منها بسبب «العولمة» الاقتصادية والاتصالية، وانتشار الدعوى إلى «حوار الحضارات» يستدعي زيارة أخرى لها، ليس فقط للتعرف عليها من جديد وسط النقاش الصاخب عن عالم ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، وإنما أيضًا لأن قدرا هائلا من الالتباس قد أحاط بها، وبداية، وبغض النظر الآن عن المضمون، فإن مقال هنتجتون يعبر عن منظومة فكرية

من المقولات التي تسعى إلى تفسير الواقع وفهمه، ففي وسط الفوضى الضاربة في العلاقات الدولية، ووجود الآلاف من الأحداث اليومية الهامة، وغير الهامة، والعنيفة، وغير العنيفة، فإن المرء يحتاج إلى «نظرية» أو «منظومة فكرية» تصنف ذلك كله، وتجعله قابلا للقراءة، وربما النصح بالسياسة الواجب اتباعها إزاءها.

وفي أعقاب انتهاء الحرب الباردة، وزوال الاتحاد السوفيتي، تسارعت أحداث كثيرة في العالم، وبات مهما للغاية فهمها وتنظيمها في أنساق قابلة للمراجعة والتساؤل. فقد كانت نظرية «القطبية الثنائية» للعالم تفسر أمورا كثيرة أو بمعنى أدق، تطرح تفسيرا لهذه الأمور، فيبدو وجود معسكرين كبيرين في العالم أحدهما اشتراكي والآخر رأسمالي، وأحدهما تقوده الولايات المتحدة والآخر الاتحاد السوفيتي، وأحدهما يلتفت حول الأطلنطي والثاني حول حلق وارسو، وكأنه يفسر أوضاعا أخرى لا تمت مباشرة للمعسكرين في الشرق الأوسط ووسط آسيا وإفريقيا وحتى أمريكا اللاتينية. وبعد انتهاء أحد قطبي القطبية الثنائية بات ضروريا البحث عن نظرية أخرى تشرح العالم وتقود إلى فهم وقائعه. وكانت أولى النظريات أو أولى المنظومات الفكرية هي ما جاء به فرانسيس فوكاياما وأسماه «نهاية التاريخ» والتي قال فيها ليس بانتهاء الوقائع أو الأحداث وإنما بانتهاء الجدل والواقع داخلها بين المنظومة الرأسمالية الليبرالية والمنظومة الاشتراكية بعد سقوط الأخيرة وانفراد الأولى بالعالم. ومن هذه النظرية أو المنظومة الفكرية، بات ممكنا فهم الكثير مما تعلق بعملية العولمة والاندماج الاقتصادي والفكري العالمي حول اقتصاد السوق والديمقراطية وحقوق الإنسان.

ورغم أن الشائع لدينا هو وضع نظرية «نهاية التاريخ» و«صراع الحضارات» في صف واحد، إلا أن الحقيقة هي أن الثانية جاءت ردا على الأولى ونفيا لها، بالرفض القاطع أولا لفكرة انتهاء الجدل في التاريخ الإنساني بانتصار الرأسمالية والليبرالية، بطرح جدل آخر يقوم على العلاقة والتناقض بين الحضارات. ثم بالرفض القاطع ثانيا لفكرة حضارة واحدة مهيمنة على العالم، فالعالم يوجد في الحضارات الغربية والكونفوشية واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية والأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية، ومن المحتمل الأفريقية كذلك، كل ذلك ولازلنا في إطار النظريات أو المنظومات الفكرية التي تساعد على فهم الواقع، أو فهم الجزء الأكبر من الواقع. وحسب ما قال به هنتجتون نفسه، أنه ليس مطلوبا من

النظرية أن تفسر كل الوقائع وإنما فقط الغالبية العظمى منها. فلم تكن نظرية الحرب الباردة والقطبية الثنائية تفسر مثلا الصراع الصيني السوفيتي، بقدر ما استطاعت تفسير أحداثا وتفاعلات أخرى في العلاقات الدولية. وبهذا المعنى فإن النظرية ليست دعوة أو أيديولوجية أو حتى سياسية يمكن القول إنها خاطئة أو مصيبة، وإنما تكمن مصداقيتها في كونها مفيدة أو غير مفيدة للتفسير. وفي العادة، فإن ذلك يتم عندما يصير ممكنا طرح نظرية أخرى تكون أكثر قدرة على الشرح والتفسير لوقائع وأحداث كثيرة تجري في العلاقات الدولية والتفاعلات بين الأمم. ولذا فإن هنتجتون كان مصيبا تماما حينما كتب مقالا آخر يرد فيه على منقديه بعنوان «إذا لم تكن الحضارة، فماذا؟»، وبهذه الطريقة فإنه من الناحية العلمية كان يلقي قفازه في وجه النقادين له، فالقضية لم تكن أنه يدعو إلى الحضارات، بينما يرى آخرون بالحوار بينهما، وإنما القضية هي قدرة منظومة معينة من الأفكار على تفسير وقائع بعينها أكثر من قدرة منظومة أخرى. وقد كان رأي عالم السياسة الشهير أن صراع الحضارات يفسر أكثر وقائع ما بعد انتهاء الحرب الباردة، بأكثر مما تتمكن نظرية القومية أو نظيرة نهاية التاريخ من تفسيرها.

ولا يقل أهمية عن ذلك أن نظرية «صراع الحضارات» في نظر كاتبها لا تتضمن نوعا من سيادة الغرب الحضارية؛ بل على العكس فإنها تعلى من قدر الحضارات الأخرى في السياسة العالمية؛ بل وتحولها من موضوع للسياسة، إلى فاعل رئيسي فيها. وكان ذلك على العكس تماما من النظرية القومية التي جعلت أوربا مركزا للكون في القرن التاسع عشر، ونظرية «القطبية الثنائية» التي جعلت الغرب كله بشقيه الليبرالي والاشتراكي مركزا للعالم، ونظرية «نهاية التاريخ» التي أعطت للغرب المنتصر مكان الجوهر في النظام العالمي ليس الآن وإنما إلى الأبد، وفي كل هذه الحالات كانت «الحضارات الأخرى» واقفة على الهامش في التفاعلات الدولية بينما الغرب يقف في مركزها تماما، يمتلك عناصر القوة المتفوقة، ويضع للعالم «الأجندة» العالمية، ويدير علاقات القوى والتحالفات، ويحدد المرجعية الفلسفية والأخلاقية.[١]

(١) عبد المنعم سعيد: صراع الحضارات أو العلولمة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص ١٩.

ومن هنا، فإن أهم صراعات المستقبل اعتبارا من تاريخ صدور المقال في صيف ١٩٩٣ سوف تكون على تلك الخطوط الفاصلة بين الحضارات المختلفة، ويعود ذلك من وجهة نظر هنتنجتون إلى ستة أسباب أولها أن الاختلاف بين الحضارات حقيقية وأساسية وغير قابلة للانقسام أو التعددية. وثانيها أن العالم وقد صار مكانا أصغر بحكم الثورات التكنولوجية باتت فيه احتمالات الصدام والاحتكاك بين الحضارات أعلى، وثالثها أن عملية التحديث الاقتصادي والتغير الاجتماعي قد فصلت الناس عن هوياتهم المحلية وجعلتهم يلتصقون بهويتهم الحضارية. ورابعها نمو الوعي بكل حضارة على حدة بسبب رغبة النخب في منافسة ومقارعة الحضارة الغربية وهي في أوج قوتها والحصول لحضارتها على مكان في عملية إدارة العالم. وخامسها أن الاختلافات الحضارية من الصعب تجاوزها مقارنة بالجنسية أو الهوية الفكرية التي يمكن تغييرها أو الجمع بينهما مع أخرى. وآخرها أن هناك ازديادا في الإقليمية الاقتصادية القائمة على أسس حضارية، فقد قامت في قارات العالم جميعها تجمعات قائمة على حضارات بعينها ترغب في تعضيد ليس فقط هويتها الثقافية بل أيضًا سوقها الاقتصادي.

ولحسن الحظ أننا منذ بدأنا الحديث عن «صراع الحضارات» إزاء نظرية أو منظومة من الأفكار التي تدعى تفسير الواقع بأكثر مما تستطيع نظريات أو منظومات فكرية أخرى تفسيره. وقد قدم صاحبها قائمة طويلة من الأحداث والوقائع التي تشير إلى أن احتدام الصراع بين البشر يتزايد بسبب الحساسية المتزايدة لحضارات العالم إزاء بعضها البعض، بل وحساسيتها الزائدة تجاه الحضارة الغربية على وجه التحديد نظرًا لقوتها المتصاعدة. ويبدو ذلك حاضرًا بقوة بين الحضارة الغربية من جانب والسلافية الأثوذكسية من جانب آخر، وبين الأولى والحضارة الإسلامية التي تتصادم بدورها مع الثانية ومع الحضارة الهندوسية والكرنفوشية التي تحتك وتوتر علاقاتها مع الحضارة الغربية أيضًا. والأمثلة الواقعة على ذلك متعددة من أول الخلافات الروسية الأمريكية وحتى حرب الخليج الثانية، وحرب البوسنة، والصراع الهندى الباكستانى حول كشمير، والغربى الصينى حول حقوق الإنسان وكان بوسع هنتنجتون ومناصرته من الأمريكيين والعرب والإسرائيليين أن يمدوا النظرية على استقامتها لكي تستوعب أحداثًا تالية منها ضرب العراق المتكرر، وصراع حزب الله مع إسرائيل في لبنان

وحماس والجهاد الإسلامي مع إسرائيل في فلسطين، وحرب كوسوفو، ومقدونيا والاختبارات النووية الهندية والباكستانية، والعوائق التي وضعت أمام الصين للإنضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وتلك التي وضعت أمام تركيا ومنعتها من الانضمام إلى الجماعة الأوروبية.

وقدمت الأحداث التي تفجرت منذ تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك وما تلاه من تفاعلات الحرب ضد الإرهاب في أفغانستان، دليلًا إضافيًّا على مدى قدرة النظرية وفائدتها التفسيرية.؟ فالمشهد الافتتاحي كان معبرًا عن الصراع في أنقى صوره. وعندما خرجت تصريحات غربية تشير إلى الحروب الصليبية وتخلف الحضارة الإسلامية، كان هناك في العالم الإسلامي من تلقفها فورًا غير قابل لأى اعتذار أو تراجع فيها باعتبارها المعبر «الحقيقي» عن النوايا الغربية. وعندما خرج أسامة بن لادن على العالم بشرائطه عن طريق قناة الجزيرة التليفزيونية أو عن طريق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مؤخرًا، كانت الرسالة واحدة عن عالم منقسم إلى معسكرين أحدهما إسلامي والآخر غربي. وربما لم يكن بن لادن يحتاج كثيرًا إلى صمويل هنتنجتون ونظريته ومقولاته الفكرية لكي يروج لصراع الحضارات فقد كان وراءه تراث عربي وإسلامى طويل حول هذه النظرية القابلة للنقاش والبرهنة والتحقق وتحويلها إلى حالة من المقولات المقدسة التي يستعذب أتباعها الموت في سبيلها.

ومع ما يبدو على السطح كما لو كان إعلانًا لفوز النظرية بفضيلة القدرة على تفسير وفهم الأحداث بأكثر من غيرها، إلا أن التمعن في أحداث ووقائع العالم لا يعطي هذه النتيجة على الإطلاق. وربما كانت الولايات المتحدة ذاتها تقدم أول مفارقة مع نظرية صراع الحضارات، فبعد الأحداث البشعة في نيويورك أجرت مؤسستا رويتر وزغبى استطلاعًا للرأي نشر يوم ١٧ سبتمبر - أي بعد ستة أيام فقط من التفجيرات. وجاء فيه أن المستجيبين للاستطلاع يميزون جيدًا بين الإرهابيين وأية جماعة عرقية أو دينية.

فقد قال ٨٤٪ من الأمريكيين أنهم يعتبرون الولايات المتحدة في حالة حرب مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين «ربما يكونوا مسلمين» مقابل ٨٪ اعتقدوا أن أمريكا في حالة حرب مع الإسلام وعندما سئلوا عما إذا كان الإسلام دينًا يشجع على العصب فإن ٤٢٪ اختلفوا مع هذه المقولة ووافق عليها ٣٨٪ وردًّا على السؤال عما إذا كانوا يفضلون أو لا يفضلون

العرب الأمريكيين جاءت الإجابة بالتفضيل وقدرها ٦٢٪ وعكسه ١٢٪ فقط، وحتى عندما امتد السؤال للعرب ككل، جاءت الإجابة بالتفصيل قدرها ٤٥٪ وعكسه ٣٣٪ وبالنسبة للمسلمين الأمريكيين كانت نسبة التفضيل ٥٦٪ وعدم التفضيل ١٩٪ أما بالنسبة للمسلمين على عمومهم فقد كان التفضيل ٤٥٪ وعدم التفضيل ٣٠٪.

معنى ذلك أنه حتى في ساعة السخونة الكبرى للحدث لم نجد حالة نقية من العداء «الحضاري» مع العرب والمسلمين في الولايات المتحدة حتى في اللحظة التي اندفع فيها اليمين المسيحي لكي يستعيد ويزيد في مقولات تاريخية عن صراعات أبدية لا يفتر لها لهب أو حماس. وما تشير إليه استطلاعات الرأي العام هو حالة من التفضيلات والاختبارات الموزعة بين موطنى الدولة، ولها أن تتغير وأن تتعدل بتغير الظروف والأحوال والمصالح والأهواء، بل إنه على الرجح كانت وراء التعديل الذي جرى في خطاب السياسيين نحو الاعتدال ورفض ومقاومة العبارات المتطرفة الأولى. وبالمثل كان الحال في العالم العربي والإسلامي، ورغم عدم وجود استطلاعات مماثلة للرأي العام، فإن هناك الكثير من الشواهد التي تدل على أن الشعوب لم تتحمس كثيرًا للنظرية التي تحولت إلى أيدلوجية، وعلى أقل تقدير لم يحدث لديها إجماع أو حتى توافق اجتماعي وسياسى على الصدام مع الغرب.

فخلال الأسابيع التي تلت أحداث الحادى عشر من سبتمبر كانت الصيحة هي أن العرب والمسلمين لن يتركوا أفغانستان تقف وحدها في المعركة، وأن عملية الاستقطاب الحضاري سوف تأخذ مداها بين المسلمين والغرب. ولكن ذلك لم يحدث، وبعد مجموعة من المظاهرات الأولية لتأييد أفغانستان في عدد من العواصم الإسلامية، فإن الظاهرة برمتها تلاشت سواء في الجماعات أو أثناء صلوات الجمعة، رغم الجهود الدءوبة من جماعات الصدام الحضاري والفضائيات التليفزيونية العربية التي لم تكف لحظة عن حث الجميع على الانتفاض والمواجهة.

وكان المشهد في باكستان بالذات موحيًا للغاية. فقد قيل: إن الشريعة الباكستانية تستند في الأساس إلى هذا النوع من الصراع الحضاري، كما قيل أن الجماعات السياسية الإسلامية مهيمنة ومسيطرة على الشارع السياسي، وقيل: كذلك إن القضية في إسلام أباد ليست فقط هوية وحضارة، وإنما مصالح إستراتيجية في الفناء الخلفى للدولة، ومع ذلك

فقد تصرفت باكستان كدولة قومية من الدرجة الأولى، وبناء على ذلك وقفت إلى جانب الولايات المتحدة كما لم تقف دولة أخرى في العالم، وعندما دعا أنصار الصراع الحضاري إلى مظاهرة من مليون شخص، لم يصل إلى ساحة التظاهر سوى خمسين ألفًا ومن بعدها اختفت التظاهرات كلها، اللهم إلا من مسيرات سلمية مؤيدة للحكومة الباكستانية التي ذهب رئيسها برويز مشرف إلى الولايات المتحدة للقاء مع الرئيس جورج بوش المنتمى إلى حضارة الجانب الآخر التي يفترض أنه معاد.

إلا أن أبلغ المشاهد المناقضة لنظرية صراع الحضارات قد جاء من داخل أفغانستان نفسها، ولم تكن القضية أن الأفغان أنفسهم من داخل الحضارة الإسلامية كانوا يتعاركون مع بعضهم حتى قبل بدء الأحداث، وإنما كيف سارت الوقائع بعد المشهد الافتتاحى فالحقيقة هي أن التحالف الشمالى، وكثرته من المجاهدين لم تقبل بفكرة الصراع الحضاري، ومن ثم تكوين جبهة مع طالبان وجرى بدلًا من ذلك تكوين جبهة مع الولايات المتحدة ومن معها من الغرب. وبعد أن أدركت طالبان أن ذلك لن يحدث، كانت هي التي تركت المدن، ومن بين الجماعات العرقية المختلفة، كانت جماعة البشتون هي التي أشرفت على تصفية آخر معاقلها في قندهار لكن المدهش أن الجميع اصطفوا وراء فكرة مطاردة وقتل وتمثيل بجثث أخوة الحضارة من العرب المسلمين الذين لم يرعوا حرمة الحضارة من قبل. ولم يكن في ذلك جديد، فقد كانت العداءات داخل الحضارات نفسها طوال التسعينيات، سواء كانت الإسلامية في الخليج، أو المسيحية في البلقان وأيرلندا في أوروبا هي الأكثر ظهورًا على الصراع بين الحضارات ولا يزال للحديث بقية.

وهذا الكتاب بعنوان: «اللقاءات التاريخية بين الإسلام والغرب» لمؤلفه الدكتور محمد إبراهيم الفيومى، هو جهد رائع لمؤلف أمسك بناصية مادته وسار بنا في دروب التاريخ الإسلامي العظيم ليحملنا في رحلة شيقة ومثيرة حول تلك اللقاءات المثيرة للجدل بين الإسلام والغرب.

الكتاب من إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن سلسلة قضايا إسلامية ويقع في ١٤٢ صفحة من القطع الصغيرة يبدأ الكاتب حديثه بإدانة صريحة أشبه بالعتاب للعقل الغربي فيقول:

إن الفكر الغربي ليس له عذر يعتذر به عما قدمه من تشويه للإسلام وللرسول ﷺ وكيف يعذر عما قدمه؟ وهو الذي أحكم دراسة التاريخ وأحداثه، علمًا ومنهجًا، فبنى له علمًا له نظامًا وفلسفته وهو ما عرف بـ «علم التاريخ وفلسفته» وهناك مبادئ أحكمها الغرب في هذا العلم لتعينه على تحرى الموضوعية الفكرية وتوخى النزاهة مناهجه التي عرفت لديه منذ أوائل عصر النهضة بمناهج البحث العلمي التي تساعده على تحرى «الحقيقة التاريخية» أو «الحقيقة العلمية» ... لذلك نلنا العجب حين رأينا الغرب يسلك سبل البحث العلمي في فهم مسائل الشعوب التي أطلق عليها هو نفسه «دول العالم الثالث» وجعلها موضوع تجارية ليقيم قواعدها وفق مناهج أخرى غير علمية تدخل في نطاق «الرؤية الاستعمارية».

## الطابع المميز للحضارة الإسلامية

يرى الكاتب أن التطور الفكري الذي أحدثه الإسلام في الغرب كان نتيجة لعاملين!

أحدهما: ديني أخلاقي تمثل في الدعوة إلى الإسلام.

والآخر: اجتماعي وتمثل في التغريب.

أما الدعوة للإسلام فقد حملها هؤلاء الفاتحون تحت راية الإسلام مزودين بقوة روحية لم تتح لهم في أي هجرة سابقة ولم يستطع شيء أن يقف في طريقها وانهار النظام القديم للحضارات الواهية ذات الأصول المتعددة: اليونانية الآرامية في بلاد الشام والساسانية في العراق، واليونانية القبطية في مصر... وفُسِحَ المجال للعقيدة الجديدة.

وأما التعريب فكان له مظهران: التعريب اللغوي وهو يتمثل في سعى أصل البلاد المفتوحة إلى تعلم العربية حتى حلت محل لغتهم الأصلية، والتعريب العراقى عن طريق امتزاج العرب بأهل تلك البلاد وتزاوجهم.

## الشرق والغرب في القرون الوسطى

يرى المؤلف أن العصور الوسطى - ابتداء من بناء القسطنطينية في القرن الرابع حتى اتساع نطاق الحروب الصليبية، منذ القرن الحادى عشر الميلادى - تعتبر هذه العصور فترة شرقية في التاريخ، ويؤكد على ذلك بما قاله لويس لومبار بأن المراكز المواجهة للحياة الاقتصادية والثقافية في العالم في تلك الفترة كانت كلها تقع في الشرق الإسلامي وأما الغرب المسيحي فلم يكن سوى فراغ.

## نتائج الفتوحات الإسلامية

ويعرج بنا المؤلف سريعًا على نتائج الفتح الإسلامي ليبرهن كيف كان الفتح الإسلامي فاتحة خير على هذا العالم ... فمن الناحية الدينية، نشر الدين الذي يقوم على القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ.

ومن الناحية اللغوية: «أي إلى اتساع انتشار اللغة العربية ومن الناحية الاقتصادية: نجم عنه اتحاد أراضى مختلفة » في تكتل اقتصادي كبير.

وقد امتد سلطان الإسلام من أسبانيا ومراكش إلى أواسط آسيا وظل مستقرًّا هنالك قرنين ونصف قرن من الزمان أمكن فيهما تركيز حضارة وثقافة مستمدين من أصل الإسلام والبيئة التي نشأ منذ أول مرة فيها ثم امتد سلطان الإسلام بعد ذلك إلى غرب أفريقيا وفي آسيا الصغرى والوسطى وفي شمال الهند.

ثم البلقان وروسيا وسيبيريا وإلى بقية الهند وأندونيسيا وفي كل فقرة من تلك القفزات كانت الحضارة الإسلامية تزداد نماءً وقوة بما تفصل به من حضارات جديدة تؤثر الحضارة الإسلامية فيها وتخضعها لسلطانها وتتأثر في نفس الوقت وتتغذى بما قد يكون من صالح فيها ويحدد الكاتب الأسباب التي تمت بها الفتوحات الإسلامية بسرعة وسهولة على يد عدد صغير من الفاتحين.

فقد كانت لدى الغرب جميع الفرص التي تتيح لهم حسن استقبال الشعوب القديمة، وكانت هذه الشعوب في حالة ثورة دائمة ضد إدارة القسطنطينية، وكانت ثورتهم كما

هي حال الثورات في الشرق دائمًا، ذات طابع ديني في الظاهر ولكنها ثورات اجتماعية في الصميم، وقد اهتز عرش بيزنطة بالبدع ومخالفة المألوف.

وفي مقابل ذلك نجد أن اتجاه الرسالة الإسلامية نحو الديمقراطية والمساواة وابتعادها عن النظرية الوطنية العنيفة، فكان يستجيب للحركات الثورية الاجتماعية والدينية في البلاد المفتوحة كذلك كان استتباب الأمن واستقرار السلام من العوامل التي دفعت سكان هذه البلاد إلى الانطواء تحت لواء الفاتحين والملاحظة الجديدة بالذكر والتي يقررها الكاتب أن الفتوحات الإسلامية لم ينجم عنها شيء من التخريب والتدمير ومن هذا النحو الحضرى تمكن الغرب من الاتصال بالحضارات الشرقية وعن طريقها بالحركات التجارية والثقافية العالمية بفضل الفتوحات الإسلامية.

وكان من نتائج قيام الإمبراطورية الإسلامية نمو مدهش لهذا الغرب المسيحي، فقد كانت الفتوحات الإسلامية نقطة انطلاق عظيم في طريق النمو والتقدم والازدهار موازنة تاريخية بين علاقات الإسلام بالغرب يقرر الكاتب أننا نريد أن نسلك بالحديث عن لقاءات الإسلام التاريخية بالغرب، والغرب بالإسلام - سبيل الحوار الفكري تصحيح بينهما، ونتخذ منه أسلوبًا باعتباره وسيلة علمية للسمو بالخصومة الأدبية من مزالق التهم.

ويقول الكاتب: إن الحضارة الإسلامية تعد أهم ما عرفه التاريخ من أشكال الدولة الإلهية، لذلك كان الإسلام هو الصيغة المناسبة والمثلى في تحرير التاريخ من وطأة إمبراطوريتين - الرومانية والفارسية فقد استطاع الإسلام أن يعصف بهما معًا، وبقى الإسلام بعدهما حقيقة تاريخية مفردة على الساحة العالمية دون منازع.

ومن الواضح أن المسلمون لا يحملون أفكارًا مطبوعة ومشوهة عن الغرب بقدر ما يحمل الغربيون منها عن الإسلام.

وهناك - كما يطرح الكاتب لرأى مارسيل جوازار - أسباب رئيسية جعلت الغرب يحمل أفكارًا مشوهة عن الإسلام والمسلمين وهي أسباب دينية ونفسية وتاريخية وثقافية وسياسية والآن أيضًا اجتماعيًا واقتصاديًا.

## الصراع الغربي مع الإسلام

تجاذبت الإسلام منذ قرنين من الزمان كما يقول الكاتب - قوتان كبيرتان هما بريطانيا وروسيا، واستطاعت الأولى بعد القضاء على ملوك الهند أن توجه أنظارها إلى الآستانة ومن خلال مصداقيتها لسلاطين العثمانيين استطاعت أن توطد مكانتها وتوسع من دائرة نفوذها في آسيا، ثم صارت بريطانيا بعد سقوط نابليون صاحبة السيادة في العالم الإسلامي لا ينازعها منازع في منزلتها فيه.

أما قياصرة الروس فكانوا ينتهجون نهجًا آخر فإنهم ما فتئوا يشهرون الحروب لتوطيد سيادتهم على الشعوب المختلفة المقيمة في إمبراطوريتها الواسعة الأرجاء وكان شعارهم العنف لخدمة الدين حسب زعمهم.

ويرجع الدكتور الفيومى الأسباب الحقيقية لتراجع الأمة الإسلامية إلى حالة السبات العميق التي أصابتنا وإغماضنا أعيننا عن تمرغ كبريائنا في حمأة السفاسف والخسائس وإهمالنا تصفح القرآن الكريم بحيث أصبحنا لا نفهم معنى هذا الكتاب العجيب الذي هو مجموع العلم والنور.

ويمضى المؤلف في سرد العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب مؤكدًا أنه رغم حالة الحقد والعداء التي يكنها ويحملها الغرب للإسلام فإن هناك فريقًا يسير على الصراط المستقيم، صراط المحبة وجودة القلب والقرآن يمدح مثل هؤلاء ويوصينا بهم، أما الآخرون الذين لا مطمع لهم إلا بحشد الفضة والذهب فإن مصحفنا الكريم يحذرنا منهم. والقرآن يوصي بحماية جميع الأجناس والشعوب والطوائف المستكنة والمذاهب الدينية المسالة.

## كتابات متبادلة

نشير بداية إلى أن نظرة الغرب نحو الإسلام والمسلمين تشكلت عبر مراحل زمنية طويلة تعددت خلالها رؤى رجال الدين والسياسة والمستشرقين واتفقت في النهاية على جملة من التصورات التي تمخض عنها الوعي الذي منح من خلاله الغرب نفسه مواقع «الحقيقة»

و«المركز» و«العقل» و«المدينة» مقابل إبقاء الآخر في مواقع «الضلال» و«الهامش» و«الأسطورة» و«التخلف».

وحين أوشك عقد السبعينات على الانفراط صحا الغرب على هدير الثورة الإسلامية في إيران، ووقف يتابع بحذر ذلك النمو المتسارع لظاهرة الإسلام السياسي فيما كانت الجاليات العربية والإسلامية تتزايد باطراد مستنبته رموزها الدينية والمادية وناشرة صيغتها الاجتماعية والقفاية بين ظهرانية، الأمر الذي أخذ يثير فيه القلق و يبث السخونة في مشاعره ورؤاه ولم تكن قضايا فلسطين والبترول وبعض حوادث العنف والتطرف التي تجري هنا وهناك وتنسب إلى هذا الطرف العربي أو المسلم أو ذاك إلا في القلب من هذا الخصم.

في موازاة ذلك كانت تتنامى في الشارع الغربي الحركات العنصرية وتعود إلى بعض فروعه الأناشيد الهلترية والفاشية، بل أخذت تسترجع منعطفاته الحادة في المصنفات الأكاديمية وعبر مقولات تتحدث عن الصراع المقبل بين الحضارتين الإسلامية والغربية عكف على ترويجها - فيما الخصم الشيوعى ينحسر وحتى قبل ذلك - منظرون وإستراتيجيون وساسة وصحفيون بدءًا بالرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون والوزير هنرى كيسنجر، ومـرورًا بـ «صمويل هنتنجتون» و«أوليفر بادريون» و«ايموس بيرلوتز» و«جوناثان باريس» وغيرهم وانتهاء بردود الأفعال الهستيرية التي أعقبت مأساة الثلاثاء الدامى في نيويورك وواشنطن والتي أفرزت عديدًا من الأصوات التي تؤكد حتمية الصراع.

غير أن هذا المنحى واجهته وظلت تواجهه في الإطار الغربي نفسه أطروحات مغايرة رفضت مقولات المواجهة وأكدت على الحوار، فمنذ «مارشال هدجسون» الذي دعا منذ الخمسينيات إلى تصحيح الصور الذهنية الخاطئة التي ظل يحملها الغربيون عن الإسلام وذلك في كتابه «مغامرة الإسلام» و«أنا مارى شمل» التي وصفت بأنها مثال لمثقف الحوار في مقابل مثقف الصراع، إلى المنظر السياسي الأمريكى «شارلس بتروث» والمستشار الاقتصادي العالمي «جيمس نوفاك» والصحفيين «جون ب.. اتلى» و«جوزف سوبران» إلى المؤرخين «رالف ريكو» و«لينواغدليغبو» كذلك المرشح الرئاسى «باتريك جيمس

بوكنان» وغير هؤلاء من نماذج التعاطف مع حركة النهوض الإسلامي المعاصرة، وحتى المفكر السويدى «كينيث ريتزن» مؤلف كتاب «الإسلام وأوربا مواجهة أم تعايش» ناهيك عن «روجيه غارودى» الذي كتب «من أجل الحوار بين الحضارات» إلى غير هؤلاء ممن نادى بالتفاهم ونبذ مقولات الصدام.

كلك ليست أسماء «فرانسوا بوغارت» و«جون اسبوزيتو» و«ليونتى هايدر» و«جيل ليبلى» و«بول كيندى» و«رالف بريبالتى» إلا أمثلة أخرى لهذا الوعي الذي عبر عنه أخيرًا الرئيس الأمانى «رومان هيرتسوج» في كتاب صدر له عام ١٩٩٩ تحت عنوان «الحيلولة دون صدام الحضارات: إستراتيجية السلام للقرن الحادى والعشرين».

## منتدى الحوار

والندوات في هذا الاتجاه قد شمل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والسويد وهولندا وغيرها من البلدان الغربية وقد كان لبعض رجال الدين المسيحي إسهامهم على هذا الصعيد والذي ينشط عادة تحت عنوان «الحوار المسيحي - الإسلامي» فـ «ميشيل ليلونج» عضو جمعية الحوار الإسلامي التي أنشئت في باريس في العام ١٩٩٢ ألف كتابًا تحت عنوان «ما أنزل الله» دعا فيه إلى تغيير النظرة المغلوطة عن الإسلام وأكد ضرورة إعادة قراءته بشكل موضوعى. حاثًا الغربيين على احترام المسلمين وتبجيل عقيدتهم.

ويندرج في السياق نفسه موقف رئيس أساقفة مدينة «ليون» الفرنسية «لورى مارى بييه» حيث تحدث عند باب الجامع الكبير لهذه المدينة عشية السابع عشر من سبتمبر من العام ١٩٩٨ وهو يقول «رغبت في أن أزوركم في بداية حضورى إلى ليون لكي أعبر عن تحياتى الأخوة لكم ولكل الجالية الإسلامية. إنها ليست زيادة بروتوكولية. وإنما جئت أقدم احترامى لكل المؤمنين بالإسلام، وآمل بأن يكون من أوليات عملنا هو التعاون فيما بيننا».

كما يندرج ضمن ذلك مت شرعت به الجامعة الكاثوليكية في مدينة «ليل» من تنظيم لدروس في التاريخ والعلوم الاجتماعية الإسلامية منذ سبتمبر من ذلك العام، فضلًا عن المحاضرات التي شهدتها أروقة تلك الجامعة وهي تطرح روية الكنيسة إزاء الحوار مع

الإسلام. وقد استمر هذا الطرح ولم يتوقف حتى بعد الأحداث الأخيرة كما سنشير إلى ذلك بعد حين.

أما على الجانب الإسلامي فليس ثمة شك بأن الإسلام وهو يقرأ ابتداء بحقيقة الاختلاف بين الناس والمعتقدات يؤكد قيمة الشراكة وأهمية التعايش واعتبار التعارف غاية من الغايات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣]، والإنسان أخو الإنسان احب أم أكره، لهذا ظل العدوان في شريعته محرمًا ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] كما اعتبر السلم في منهاجه أصلًا من أصول العلاقات ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

وعلى الرغم مما تميز به الإسلام من نزوع أممي يتحمل خلاله المكلفون مسئولية التبليغ والتطلع نحو إشاعة المشروع الحضاري الإسلامي على الصعيد العالمي فإنه ربط ذلك بمبدأ الحوار الذي تظل في إطاره اختبارات الآخرين منوطة بحريتهم أيًا كانت طبيعة تلكم الاختيارات إذ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما يظل الحاكم في جدل العلاقات - أيًا كان مال الجدل - قوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٤]، و﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وهذا ما تجسد فعلًا في ظل الحضارة الإسلامية التي تعايشت في مناطق نفوذها مختلف الأديان والثقافات.

من هنا لم يكن بدعًا من الأمر أن يقترح الرئيس الإيراني د. محمد خاتمي على الجمعية العامة للأمم المتحدة بجعل ٢٠٠١ عامًا لحوار الحضارات. وان يبادر قبل ذلك وبعده عديد من المراكز والمؤسسات الإسلامية في الشرق والغرب إلى عقد المؤتمرات من أجل هذا المشروع. ولعل ما شهدته بلدان المغرب وتونس ومصر والأردن وبعض دول الخليج وأماكن تجمع الملمين في الخارج من أنشطة في إطار السنة الدولية للحوار ليمثل تواصلًا مع الفكرة الإسلامية في هذا الخصوص التي ستعبر عنها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «ايسيسكو» بكتاب أبيض بعد حين.

إذن وعطفًا على ما تقدم فليس صحيحًا أن ينظر إلى الحضارة الإسلامية نظرة تخوف عبر ما تثيره بعض الأصوات المنتسبة إليها ممن تستقبح الآخر كليًّا وترفض ثقافة الحوار وتصر على محاربة «دار الكفر» في كل الأحوال. ولعلنا نستطيع أن نلحظ مع «سكوت هيبارد» مسئول برنامج الأديان والأخلاق وحقوق الإنسان في معهد الولايات المتحدة للسلام ذلك الخطأ الأساسي لمقولة الصراع بين الحضارات التي ابتنيت على أن الحضارات كيانات صلبة ومنغلقة على ذاتها فيما الواقع يشير إلى غير ذلك.

من ناحية أخرى لا بد أن نلفت النظر إلى أن الإسلام إذ يوصي بالحوار من أجل الحضور وتبليغ ما يحمله من رسالة إلى العالم، يحث عليه أيضًا من منطلق الإسهام في حل المشكلات والتعاون مع الجميع على البر والخيرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] وهذا يعني أن الحوار في منظوره الإسلامي لا يقتصر على ناحية دون أخرى، بل يمتد إلى مختلف النواحي الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية مثل قضايا: السلام والبيئة والفقر ونزع أسلحة الدمار الشامل والصحة وحقوق الإنسان والديون والهجرة والمخدرات والجرائم الدولية ونحوها من القضايا الجديرة بالطرح على موائد الحوار والتي تستأهل التعاون بشأنها بغية الوصول إلى صيغ أو حلول عادلة أو مقبولة. ولعل في هذا المنحى تحقيق - من الوجهة الإسلامية لمعنى الوسطية والشهادة على الناس وتكريس لمبدأ الإنقاذ الإنساني ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وبهذا يتشكل الموقف الإسلامي من حوار الحضارات، ولا شك أن عدوان الحادي عشر من سبتمبر ووقوف نفر من المسلمين وراء ارتكابه على ما يبدو - قد أحدث بلبلة وخللًا في إمكانات الحوار وعرض مقولة التفاهم - المشكوك بها أصلًا - إلى امتحان عسير.

فالمشهد قد اشتعل بالدم وبرزت خلاله صورة المسلم الإرهابي التي عمقت ظاهرة (الإسلاموفبيا) IsIamophobia، فيما أخذ جو العلاقة يتسمم بغيوم من الكراهية والاشمئزاز أشبع عبرها العرب والمسلمون بمزيد من الضغوطات التي أخذت تمتد إلى مختلف المستويات الأمر الذي أشعر الكثير من حاملي فكرة الحوار بالشلل وكاد البعض منهم ينعى لنا مشروع الحوار لولا بقية من أصوات شجاعة انبرت ومنذ اللحظة الأولى تقول للغرب المصدوم شيئًا آخر.

ولعل صورة جمعية «سانت ايجيدوا» الإيطالية المسيحية مثال ساطع على ذلك وهي تدعو إلى عقد قمة إسلامية مسيحية على الفور لمواجهة ذلك الموقف الملتهب. كما لم يمض وقت حتى أخذ بعض الزعماء والسادة يتراجعون عما صدر عنهم من ودود أفعال مضادة أثارت جدلًا في الغرب نفسه، فالرئيس الأمريكي «بوش» صوب دلالة استخدامه لمصطلح الحرب الصليبية Crusade ساعة إعلانه مشروع الرد على الإرهاب وتراجع «بيرلسكوني» رئيس الوزراء الإيطالي عما صدر عنه من هجاء للحضارة الإسلامية، وكان لخطاب باب الفاتيكان دوره المهدئ وهو ينوه بأخلاقيات الإسلام وسماحته ويؤكد خيار الحوار، ناهيك بزيارات المسئولين الغربيين وعلى أرفع المستويات المساجد والمراكز الإسلامية وتطمينهم أنباء الجالية الإسلامية.

وإذا كان صحيحًا أن كل تلك التصريحات والتطمينات الرسمية لم تستطع أن تبدد مشاعر القلق والتوجس التي سرت في نفوس المسلمين في داخل الغرب وفي خارجه، سيما والضغوط إزاءهم أخذت تقنن صيغها القمعية وتتوسع في إجراءاتها المؤذية على نحو غير مسبوق فيما الحرب مسلطة على رقاب الكثير من دولهم وشعوبهم فإنه - وعلى الرغم من كل ذلك - ثمة ظواهر أخرى قد احتواها المشهد قد ترجح - بنظر البعض - كفة التوجه ولو مستقبلًا نحو الحوار.

## المبحث الثامن

### أولًا: الوجود الإسلامي في الغرب من المشكلات والتحديات إلى الحلول والتقارب لا المواجهة:

إن الدول الغربية لم تفكر في بداية الأمر في قضية الوجود الإسلامي في الغرب. فقد كانت هذه البلاد - بعد الحرب العالمية الثانية - في أشد الحاجة إلى الأيدى العاملة لتبنى نفسها بعد الدمار الذي خلفته الحرب.

ومن هنا كانت قضية إعادة البناء هي الشغل الشاغل للدولة الأوربية - وبوجه خاص لكل من إنجلترا وفرنسا وألمانيا - ولم يكن يدور في الأذهان أن المهاجرين إلى الغرب - من أبناء الأمة الإسلامية والعربية - سيستقرون في البلاد التي هاجروا إليها فالمفروض أن إقامتهم كانت مؤقتة، وكما يقول أحد القساوسة الألمان:

«لقد كان ينبغي عليهم في واقع المر أن يعتبروا أنفسهم ضيوفًا مؤقتين وأن يتصرفوا على هذا الأساس، وأن يعودوا بعد ذلك إلى أوطانهم وهم محتفظون بآرائهم التي يعتنقونها»[1].

ولكن المهاجرين قد استقر بهم المقام في بلاد الغرب، وعندئذ بدأ المجتمع الغربي يدرك مدى الكم الهائل من المشكلات التي ترتبت على ذلك ومنها على سبيل المثال لا الحصر: قضايا الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتعليم الدين الإسلامي، ومشاكل التكيف مع الحضارة الغربية، والاندماج في مجتمع مسيحي علمانى، والاغتراب المكانى والروحى، الأمر الذي جعل المسلمين في كثير من البلاد الغربية يعيشون في ظل ظروف تتمثل في انتزاعهم من جذورهم، وفي الإحساس بالظلم والاستغلال الاجتماعي والتفرقة في المعاملة بطريقة خفية أو مكشوفة. وسوء ظن الغربيين تجاه المسلمين الذين يعايشونهم لدرجة أن أحد علماء الطبيعة الألمان - الذي كان من المعارضين لإنشاء مركز إسلامي في العاصمة الألمانية بون - عبر عن مقدار سوء الظن بالمسلمين قائلًا إنه أحب لديه إن يبنى «مفاعل ذرى» أمام باب منزله من أن يبنى مركز إسلامي معللًا ذلك بأن المفاعل الذرى

(١) محمود حمدى زقزوق: الإسلام ومشكلات المسلمين في ألمانيا، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٠.

يمكن أن يحسب حسابه، أما المسلمون فلا يستطيع المرء أن يتنبأ بالأخطار التي ترد من جانبهم.[١]

وقد أصبح وجود تلميذة مسلمة تغطى رأسها في مدارس الغرب أمرًا يشغل الرأي العام الغربي كله بوصف ذلك أمرًا يتعارض مع التقاليد والحضارة الغربية ولأنه في الوقت نفسه يذكر الناس هناك بالإسلام. وهذا في حد ذاته أمر غير مرغوب فيه.

والأمر الذي لا شك فيه هو أن الوجود الإسلامي في الغرب يتعرض لتحديات خطيرة تهدد كيانه، وهي تحديات تفرضها البيئة المحيطة بأبناء المسلمين في الغرب دينيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا. فكل سلبيات المجتمع الغربي ينعكس أثرها السلبى على الشباب المسلم في الغرب سواء في مجال التحلل من الدين أو القيم أو السلوك.

فالحياة الاجتماعية في الغرب تثير الشكوك في عقول الشباب حول كثير من الأمور المتعلقة بالعقيدة والحياة الإسلامية.

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى جهود المبشرين التي تهدف إلى إبعاد المسلمين عن إسلامهم. وإذا لم تنجح جهودهم في تنصيرهم فعلى الأقل تشكيكهم في دينهم.

وهكذا يواجه المسلمون في الغرب مشكلات دينية ونفسية واجتماعية وحضارية وسلوكية، وينتهز أعداء الإسلام في الغرب حقيقة ضعف المسلمين في العالم الإسلامي وتخلفهم بإرجاع ذلك التخلف إلى الإسلام ذاته، وفي المقابل إرجاع تقدم المجتمعات المسيحية إلى المسيحية ذاتها، في حين أن الإسلام - كدين لا صلة له بتخلف المسلمين، كما أن المسيحية كدين لا صلة لها بتقدم المجتمعات الغربية.

ورحم الله مالك بن نبي الذي كان يقول: «إن التخلف الذي يعاني منه العالم الإسلامي ليس سببه تمسك المسلمين بالإسلام وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين».

ويريد الساسة الغربيون أن يتكيف الإسلام في الغرب مع التقاليد الغربية ولذلك

(١) الإسلام ومشكلات المسلمين في ألمانيا، ص ٨.

وجدنا وزير الداخلية الفرنسي الذي رفض أن تمنح فرنسا تأشيرات دخول للقراء والوعاظ المصريين في شهر رمضان من عام (١٤١٣هـ) كما كان ذلك سائدًا في الأعوام الماضية - يبرر هذا الرفض بأن فرنسا تريد «تنمية الإسلام في فرنسا على الطريقة الفرنسية».

وقد أصبح الوجود الإسلامي في الغرب يتعرض اليوم لأبشع الحملات الإعلامية وموجات الكراهية والتخويف من جانب الجماعات المتطرفة من النازيين الجدد في ألمانيا واليمينيين المتطرفين في فرنسا وغيرهم من جماعات متطرفة في بلاد غربية أخرى. وهي حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب بل ضد الإسلام بوصفه دينًا غير مرغوب فيه.

وما احتضان الغرب لسلمان رشدى والدفاع عنه إلا حلقة من حلقات هذا المخطط الإعلامي ضد الإسلام، ولكن لماذا يتعرض الإسلام وحده من بين كل الأديان في العالم لهذه المعاملة الظالمة؟

## ثانيًا: سوء فهم الإسلام في الغرب وأسبابه:

إن سوء فهم الإسلام في الغرب بصفة عامة يرجع أساسًا إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة. فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى قبل الحروب الصليبية حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون - فيما بعد - القسطنطينية وحاصروا العاصمة النمساوية فيينا.

وقد شهدت العصور الوسطى في أوربا الكثير من الافتراءات ضد الإسلام والمسلمين، وراح اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ.

وهناك في هذا الصدد الكثير من الأساطير في وصف الإسلام، وهي أساطير مغرقة في الخيال وفي الضلال اخترعها الكتاب في ذلك العصر مثل أنشودة رولاند الشهيرة وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين عباد أصنام[1] وتدمغهم بأحط الأوصاف. ولم ينجح من نشر

(١) محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار بالقاهرة، ١٩٨٩م،=

مثل هذا الضلال أعلام الأدباء في الغرب مثل دانتى وفولتير وغيرهما. وقد ترسخ في العقلية الغربية أن الإسلام دين عدوانى متعصب شهوانى تواكلى... إلخ، وما زال حتى يومنا هذا تدرس للأطفال في المدارس الغربية معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

ومن هنا لا نعجب إذا وجدنا الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب تنشط بين الحين والحين. فهي حملات تعبر عن مدى سوء فهم الغربيين للإسلام، ومدى تأصل ما ورثوه في هذا الصدد من أوهام ترسخت في أذهانهم.

ويعجب المرء عندما يجد أن الأديان الأخرى وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل الديانات في العالم هو الذي يهاجم ويساء إليه، وهو وحده الذي يرمى بكل النقائض.

وترتعد فرائص الغربيين حينما يسمعون عما يسمى بالصحوة الإسلامية في بعض البلاد الإسلامية، وينظر الغرب اليوم إلى الإسلام على أنه هو العدو البديل بعد انهيار العدو التقليدي المتمثل في الشيوعية، ولم يخف المسئولون في الغرب ذلك؛ بل أعلنه العديد منهم في صراحة ووضوح.

ويتضح موقف الغرب من المسلمين في وقوفه موقف المتفرج لأكثر من عامين من مأساة البوسنة والهرسك، فقد أعلن الصرب في وضوح أنهم يقومون بمهمة تاريخية وهي حماية أوربا من الإسلام، وأن أوربا إذا قالت شيئا غير ذلك فهو من قبيل النفاق. وقد ظلت أوربا بالفعل تنافق طوال هذه المدة وتكتفى بإصدار بيانات الشجب والاستنكار إلى أن يحقق الصرب أهدافهم. ويريد الصرب أن يكرروا في البوسنة والهرسك ما فعله الأسبان قبل خمسمائة عام من طرد المسلمين من الأندلس والفتك بهم. ولو نجح الصرب في ذلك سيأتي الدور على بقية المسلمين في بلاد غربية أخرى.

---

=وكذلك: نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى، لساذرن، ترجمة على فهمى خشيم، دار الفكر بطرابلس، ليبيا ١٩٨٠م، ص ٢٩ وما بعدها.

## ركائز المستقبل الإسلامي في الغرب:

إن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف بصفة أساسية على عدة عوامل: أولها يتعلق بالعالم الإسلامي، وثانيها يتعلق بالمسلمين الذين يعيشون في الغرب، وثالثها يتعلق بالموقف الغربي نفسه.

فهناك ـ إذن ـ أبعاد ثلاثة: بعد على مستوى العالم الإسلامي، وبعد على مستوى المسلمين في الغرب، وبعد غربي.

وهذه العوامل أو الأبعاد الثلاثة غير منفصلة عن بعضها، بل هي متداخلة ومتشابكة؛ ومن هنا فلا يجوز بحث مستقبل الإسلام في الغرب دون النظر إليه من خلال هذا التداخل؛ نظرا لأن كل عامل منها له تأثير متبادل مع العوامل الأخرى. وفيما يلي نعرض وجهة نظرنا في هذا الصدد.

### أولا: البعد المتعلق بالعالم الإسلامي:

أما البعد الأول وهو البعد الذي يتعلق بالعالم الإسلامي فإننا نود في البداية أن نؤكد على حقيقة ثابتة في أن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف بالدرجة الأولى على مستقبل الإسلام في العالم الإسلامي. فالمسلمون أمة واحدة، كما أراد الله لها أن تكون ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ومن هنا فإن عزة الإسلام وقوة المسلمين في العالم الإسلامي وازدياد تأثيرهم في مجال السياسة العالمية من شأنه أن يدعم الأقليات الإسلامية في الغرب ويرفع من معنوياتها، ويزيدها التصاقًا بدينها وتراثها وحضارتها، وتعطيها الأمل في مستقبل مشرق.

ومن هنا تأتي ضرورة استمرار ربط الجسور مع المسلمين في الغرب، ومعاونتهم في تصحيح صورة الإسلام في أذهان الغربيين بكل الوسائل العلمية والعملية التي تعرض الإسلام عرضا سليما يصحح المفاهيم المغلوطة ويزيل الشبهات ويبدد الأوهام ويقضي على الأباطيل المنتشرة بين الغربيين سواء في وسائل الإعلام أو في بحوث المستشرقين أو في المناهج الدراسية. وهذا كله من شأنه أن يحمى أبناء المسلمين في الغرب من أخطار التنصير وألاعيب الملاحدة.

وفي هذا الصدد نقترح الوسائل التالية:

١- إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية تعرض الإسلام عرضًا علميًا وبطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة، وترد في الوقت نفسه على المزاعم التي تثار ضد الإسلام، وتحل هذه الموسوعة ـ بالنسبة للمسلمين في الغرب ـ محل دائرة المعارف الإسلامية التي أخرجها المستشرقون وما يزالون يقومون بإخراج الطبعة الثانية منها، كما تكون هذه الموسوعة أيضًا بجوار موسوعة المستشرقين بالنسبة لغير المسلمين ممن يريدون أن يتعرفوا على وجهات النظر الإسلامية من مصادرها الأصلية.

فالباحثون لدينا في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي أيضًا يعتمدون على دائرة المعارف الاستشراقية وهم معذورون في ذلك نظرا لعدم وجود البديل؛ فكل فراغ فكري لدينا لا نتبعه بأفكار من عندنا يكون عرضة للاستجابة لأفكار منافية ـ وربما معادية ـ لأفكارنا، فلا نلومن حينئذ إلا أنفسنا.

٢- إصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية تشتمل على كل ما يهم المسلم معرفته في حياته التمهيدية والعملية.

٣- إصدار موسوعة حديثية مختصرة ومبوبة باللغات الأجنبية تشتمل أيضًا على كل ما يهم المسلم معرفته من أمور دينه.

٤- إصدار ترجمة معتمدة لمعانى القرآن الكريم بعدد من اللغات الأجنبية لخدمة المسلمين في الغرب وخدمة الراغبين في الاطلاع على الإسلام من غير المسلمين.[1]

٥- مد المسلمين في الغرب بالعلماء المستنيرين الفاهمين لحقائق الدين والدنيا، وتزويدهم بالمراجع الإسلامية الأصلية والبرامج الدينية الهادفة التي تستفيد في نشر الدعوى الإسلامية من كل منجزات العصر إذاعة وتليفزيون وسينما وفيديو وحاسوب، وفي هذا الصدد ينبغي التفكير في إنشاء قناة تليفزيونية إسلامية لخدمة أبناء المسلمين في الغرب.

(١) محمود حمدى زقزوق: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، ٢٢٩ وما بعدها، دار المنار بالقاهرة، ١٩٨٨، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٢٩.

٦- إصدار سلسلة من الكتيبات باللغات الأجنبية تعالج العديد من القضايا المثارة على الساحة الفكرية والدينية من منظور إسلامي، وتعرف المسلمين بتاريخهم وحضارتهم وما قدمته هذه الحضارة من عموم ومعارف وإنجازات رائعة كانت فاتحة خير للبشرية جمعاء.

٧- مساعدة المسلمين في الغرب على اغتنام الفرص المتاحة ـ حسبما تسمح بذلك قوانين البلاد التي تعين فيها جاليات إسلامية كبيرة ـ لإنشاء نظام تعليمي إسلامي يبدأ من رياض الأطفال وينتهي بالجامعة ويعتمد هذا النظام على الجمع بين الدراسات المدنية المعتمدة بالإضافة إلى برنامج إسلامي ـ ويندرج ذلك كله في إطار فلسفة واضحة المعالم محددة الأهداف تنطلق من المفهوم الإسلامي للعالم الشامل لعلوم الدين والدنيا معا.

ومن الطبيعي أن يقوم هذا النظام التعليمي الإسلامي بالتنسيق مع المؤسسات التعليمية في الدول المضيفة حتى يمكن الاعتراف بالشهادات التي تمنحها المؤسسات التعليمية الإسلامية.

وهناك بالإضافة إلى هذه المساعدات العلمية الإسلامية ـ التي هي ضرورية بالنسبة للمسلمين في الغرب ـ أمور أخرى ينبغي أن يضعها العالم الإسلامي في اعتباره لما لها من أهمية بالغة في مساعدة المسلمين في الغرب، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ- جعل قضية الأقليات الإسلامية في الغرب ضمن قائمة الأمور التي تكون موضوع مباحثات بين الجانب الإسلامي والجانب الغربي، مثلما يفعل الغرب ذلك ويضع في رأس قائمة موضوعاته الاهتمام بالأقليات المسيحية في العالم الإسلامي.

ب- التركيز من جانب العالم الإسلامي على العناصر الإيجابية في العلاقات التاريخية مع الغرب على المستوى الحضاري وعلى ما قدمته الحضارة الإسلامية من إنجازات باهرة كانت حافزًا للغرب على شق طريقه نحو التقدم والازدهار، وكذلك التركيز على موقف الإسلام التاريخي المتسامح مع المسيحية ومع كل الديانات السماوية.

ج- إن التزام الدول الإسلامية بمبادئ الإسلام الحقيقية قولا وعملا من حيث احترام

حقوق الإنسان وكرامته وآدميته من شأنه أن يحسن صورة الإسلام في العالم و يبطل مزاعم الغرب ضد الإسلام، وهذا كله ينعكس أثره إيجابيًّا على المسلمين الذين يعيشون في الغرب.

وحتى يمكن تحقيق هذه البرامج وغيرها من أمور أخرى يحتاجها المسلمون في الغرب لابد من إنشاء مؤسسة إسلامية متخصصة لرعاية الأقليات المسلمة في العالم، ولا يكفي أن يكون بند الأقليات الإسلامية أحد بنود العديد من المنظمات الإسلامية التي ليس بينها في الغالب أي تنسيق.

فالمطلوب هو مؤسسة متفرغة لهذا العمل بتمويل إسلامي تكون هي حلقة الوصل بين العالم الإسلامي والأقليات المسلمة في العالم، وتكون مهمتها القيام بإعداد الدراسات اللازمة ووضع الخطط والبرامج ومتابعة التنفيذ.

وهذا الاقتراح وثيق الصلة بإحدى التوصيات العامة التي أصدرها المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي انعقد في الرياض عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. فقد أوصى هذا المؤتمر حكومات الدول الإسلامية والهيئات والمنظمات المعنية بإنشاء صندوق يسمى «صندوق الأقليات الإسلامية».

**ثانيا: البعد المتعلق بالمسلمين في الغرب:**

أما البعد الثاني الذي يتصل بالمسلمين الذين يعيشون في الغرب فإن عليهم مسئولية كبيرة في مساعدة أنفسهم، ليس فقط من أجل ضمان استمرار وجودهم في الغرب، بل أيضًا من أجل دعم هذا الوجود وازدهاره والتطلع إلى غد أكثر إشراقا.

وأود في هذا الصدد أن أعرض بعض التصورات التي اعتقد أن لها أهميتها القصوى في مستقبل الإسلام في الغرب:

١- ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية وتوثيق الروابط فيما بينها والبعد عن الصراعات المذهبية الضيقة والتيارات السياسية التي من شأنها أن تقوض أواصر المودة بين المسلمين في الغرب.

فمن غير المعقول أن تنقل التجمعات الإسلامية معها إلى الغرب الصراعات السياسية والأيديولوجية والمذهبيات الضيقة السائدة في البلاد التي أتت منها، وتنسى ـ في غمار ذلك ـ مشاكلها الحقيقية التي ينبغي أن تهتم بها.

وما زلت أذكر ما دار من مناقشات في أحد المراكز الإسلامية في أوربا عند زيارتي لهذا المركز عام ١٩٨٠م. فقد دارت المناقشات كلها من خلال منطلقات سياسية وأيديولوجية يؤمن بها هذا الفريق أو ذاك، وهذا كله يعد من قبيل الهزل في وقت الجد، وفيه إضافة للجهد والوقت وتمزيق للروابط واستنفاد للطاقة. فماذا يبقى هناك من طاقة لحل المشكلات في بلاد المهجر؟

إن مما لا شك فيه أن هناك تحديات خطيرة تواجه المسلمين في الغرب. والوعي بالمشكلات الحقيقية التي تواجههم ووضعها في إطارها الصحيح ومراعاة الأولويات في هذا الصدد هو البداية الصحيحة في سبيل البحث عن حلول لهذه المشكلات.

٢- ضرورة فهم العقلية الغربية والتعامل معها من هذا المنطلق؛ فلا يعقل أن يعيش المسلم في الغرب وهو يجهل العقلية الغربية وأنماط السلوك الغربي. فالله قد خلقنا مختلفين لنتعارف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا التعارف هو الخطوة الأولى للفهم المتبادل والاحترام المتبادل والتعاون المشترك. وبذلك يمكن القضاء على أسباب الصراع وانعدام الثقة والأحكام المسبقة على كلا الجانبين.

٣- على المسلمين في الغرب أن يقدموا للآخرين صورة مشرقة عن الإسلام وذلك بتقديم النموذج الإسلامي الحي المجسد لتعاليم الإسلام عملا لا قولا فقط، وجوهرا لا شكلا فحسب.

ويتمثل ذلك في السلوك الإسلامي الملموس الذي يجذب ولا ينفر، فهذا السلوك على المستوى الفردى والجماعى له أثره البالغ لا في تعديل صورة الغرب عن الإسلام فحسب، بل لجذب الغربيين للإسلام أيضًا.

وليس هناك معنى لأن نركز في العرب على المظاهر الشكلية على حساب الجوهر، فالإسلام ليس مجرد مظاهر ورسوم ولكنه عقيدة تمتلئ بها جوانب النفس فتضيء إشراقا ومحبة للجميع.

وقد ذكر أحد الأساتذة المسلمين في إحدى الجامعات الألمانية أن شابًّا ألمانيا مسلمًا يدرس مع أقرانه دراسات إسلامية في أحد معاهد الاستشراق وبصرف النظر عن المظهر الغريب لهذا الشاب، والذي هو ـ في حد ذاته ـ منفر بالنسبة للآخرين، فإنه دخل في إحدى المرات إلى المعهد الذي يدرس فيه فوجد زملاءه ـ وهم مسيحيون ـ يقرؤون في المصحف بعض آيات القرآن الكريم تتصل بما يدرسونه. فما كان منه إلا أن نهرهم بغلظة وانتزع المصحف من بين أيديهم، ونهاهم عن لمسه لأنهم كافرون[1].

فهل مثل هذا السلوك هو الأسلوب السليم لجذب الآخرين إلى الإسلام أو ـ على الأقل ـ لإعطائهم صورة مشرقة للسلوك الإسلامي؟

٤- إقامة الندوات العلمية المشتركة مع العناصر الغربية المستعدة للتفاهم، والمحبة للتعايش في سلام وأمن واستقرار مع المسلمين، وفتح حوار إيجابي معها يركز على العناصر الإيجابية المشتركة وينحى ـ جانبا ـ كل ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بين الجانبين.

وبهذه الطريقة يكسب المسلمون في الغرب أصدقاء يمكن أن يكون لهم أثر في خدمة الوجود الإسلامي في الغربي.

٥- إيجاد الصيغة المناسبة للحفاظ على الذاتية الإسلامية للمسلمين في الغرب ـ من جانب ـ والمشاركة الفعالة في أنشطة المجتمعات الغربية ـ من جانب آخر.

فالمسلمون في الغرب لا يجوز لهم أن ينعزلوا في حارات مثل حارات اليهود، ولكنهم ـ من ناحية أخرى ـ لا يجوز لهم أن يذوبوا في المجتمع الغربي، بمعنى أن يفقدوا هويتهم الدينية والثقافية.

(١) محمود حمدى زقزوق: هموم الأمة الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٧.

ولا ننسى أن هناك أخطارًا حقيقة في هذا الصدد تهدد الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين في الغرب.

ومن هنا فإنه من الضروري أن تحصن الأسر المسلمة أبناءها بالثقافة الإسلامية الرشيدة، مثلما نحصن الأطفال عن طريق الأمصال المناسبة ضد الأمراض المختلفة، وهذا يحتم إقامة مؤسسات ثقافية إسلامية في بلاد الغرب للمساعدة على تحقيق هذا الهدف.

وتتمثل هذه المؤسسات الثقافية في مؤسسات إسلامية للتثقيف العام تكون ـ من ناحية ـ فرصة لالتقاء أبناء الجاليات الإسلامية في الغرب، ومن ناحية ثانية: تعمل على تأكيد الانتماء الإسلامي ودعمه لدى أبناء هذه الجاليات، ومن ناحية ثالثة: تعمل على استكمال النقص في برامج التعليم العام في هذه البلاد؛ حيث لا تكون هناك في الغالب برامج للتربية الإسلامية، أو إذا كان هناك شيء من هذا القبيل يكون هامشيًا ولا يفي بالغرض.

وتسير هذه المؤسسات الثقافية ـ جنبًا إلى جنب ـ مع المراكز الإسلامية القائمة، ومع الاهتمام بإنشاء مدارس إسلامية ما دامت قوانين البلاد تسمح بذلك.

٦- ضرورة فهم حقائق الواقع وحسن التعامل مع هذا الواقع. لقد قرأت في صحيفة إسلامية تصدر في إحدى الدول العربية أن حزبًا إسلاميًا قد تم تشكيله في دولة أوربية وأنه أعلن أنه يريد الشريعة الإسلامية في هذا البلد، فهل هذا كلا معقول!؟

إن هذا يعني عدم فهم للواقع الغربي من ناحية، ومن ناحية أخرى يعطي للآخرين الفرصة لتأليب الرأي العام ضد المسلمين في الغرب؛ وهنا تظهر تُهم الأصولية والعنف والعدوانية... إلخ.

ومن جهة ثالثة نسأل: هل تم التطبيق في العالم الإسلامي حتى نطالب به هنا في الغرب؟

إن المؤمن كيس فطن وعليه أن يبتعد عن الأسلوب الساذج في التعامل مع حقائق الحياة.

**ثالثا: البعد المتعلق بالغرب:**

أما البعد الخاص بالغرب، فإنه يتوقف على البعدين السابقين؛ فالمبادرة بالنسبة لدعم مستقبل الإسلام في الغرب لن تأتي من الغرب ذاته، ولكنها لا بد أن تأتي من الجانب الإسلامي.

وإذا أردنا أن نلخص أهم النقاط في الموقف الغربي إزاء الإسلام والمسلمين الذين يعيشون في الغرب فإننا نحددها في التساؤلات التالية:

١- ما مدى تقبل المجتمعات الغربية للوجود الإسلامي؟

٢- ما مدى جدية المجتمعات الغربية في مكافحة العنصرية المعادية للأجانب بصفة عامة وللإسلام بصفة خاصة؟

٣- ما مدى استعداد الغرب للتعامل مع الإسلام بموضوعية وإنصاف في وسائل الإعلام كما يفعل مع الديانات الأخرى؟

٤- ما مدى استعداد الغرب لتصحيح الأخطاء في المعلومات المدرسية عن الإسلام؛ حتى لا تنشأ الأجيال الغربية الجديدة وهي تسير في نفس خط المعاداة للإسلام والمسلمين؟

إن من الواضح أن تعديل المواقف والتصورات الغربية والإجابة عن هذه التساؤلات يتوقف على مدى تعاملنا الإيجابي مع البعدين السابقين.

وهذا يضاعف من مسئوليتنا على مستوى العالم الإسلامي ـ من جهة ـ وعلى مستوى الأقليات المسلمة في الغرب ـ من جهة أخرى.

ونخلص من ذلك كله بأن مفتاح حل مشكلات الوجود الإسلامي في الغرب في أيدي المسلمين أنفسهم، وليس في يد غيرهم، فإذا لم نساعد أنفسنا فلن يساعدنا أحد، كما أن الله سبحانه وتعالى لن يساعدنا أيضًا إلا إذا ساعدنا أنفسنا.. وهذا قانون قرآني ثابت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

# الخاتمة

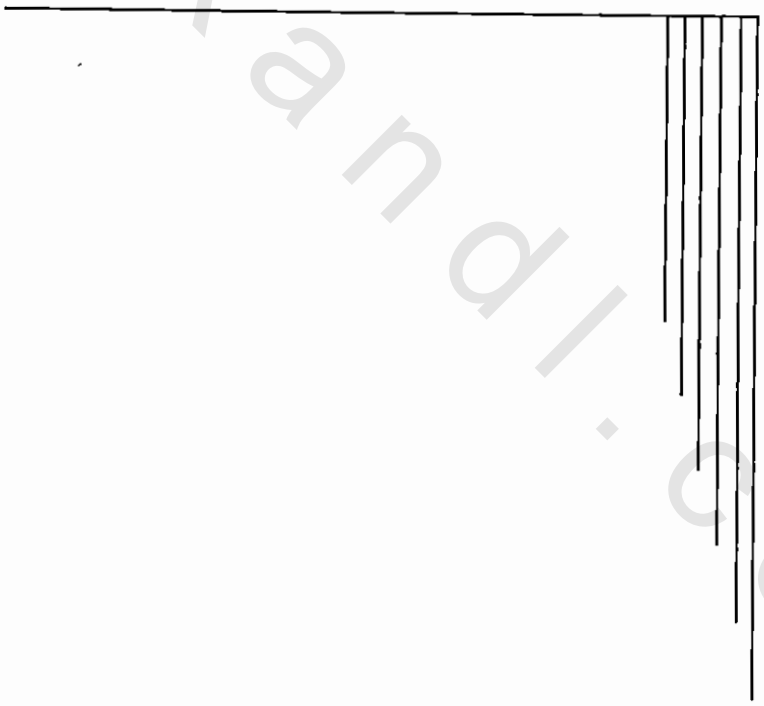

obeikandl.com

obeikandl.com

# الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أن أعاننا بفضله ومدده وتثبيته على إتمام هذا الكتاب بعد معايشة زمنية طويلة، ومعايشة ذهنية أطول.

ونظرًا لأهمية الموضوع وجدته وقوته واتساعه، فإن تناوله استلزم منا تطويفًا وتجميعًا وإلمامًا بكل ما يتصل بالحوار في الإسلام، وعكفنا على تحليل هذه المادة المجموعة وتصنيفها وتبويبها، وقد وجدنا عدة موضوعات فكرية جديدة في قضية الحوار لم تعرض لها الكتابات السابقة قديمها وحديثها بصورة مفصلة؛ فأنعم الله علينا بالمادة العلمية التي أثرت المعالجة، وذلك من خلال تلاقح الأفكار، ودوام المدارسة والتنقيب والبحث.والاستقصاء، فالحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وفي سبيل الوفاء بكثير من القضايا المتصلة بالحوار في الإسلام، والإلمام بكثير من جزئياته وعناصره؛ عولج الموضوع من خلال سبعة فصول رئيسة؛ اكتنزت في داخلها عشرات المباحث المهمة؛ ومن أهمها:

- مفهوم الحوار وأهميته.
- بين الحوار والجدل.
- مقومات الحوار.
- موضوعات الحوار، وآدابه، ومعوقاته.
- مشروعية الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- تاريخ الحوار الإنساني، وتطوره، وصفاته.
- منهجية الحوار، وشروطه، ومقوماته.
- خصائص الحوار القرآني.

■ كيفية الحوار مع الذات، وأهميته.

■ كيفية الحوار مع الآخر، وأهميته.

■ الحوار الحضاري وقضاياه.

■ ثمرات الحوار في مجالات الدعوة.

■ ثمرات الحوار في مجالات التربية.

■ ثمرات الحوار في مجالات الثقافة.

وفضلًا عن هذا فإن هناك موضوعات مهمة، عرضنا لها، ورغم ذلك فإنها تحتاج إلى المزيد من الدراسات، ومنها:

١- غايات الحوار في الإسلام.

٢- كيف تتعلم الحوار الجيد من القرآن الكريم، ومن السنة المشرفة؟

٣- أهمية الحوار النبوي في جوانب الهداية من الإقناع والتوجيه.

٤- منهجية الحوار القرآني، وأثرها في مخاطبة الكفار واليهود والمنافقين والعصاة.

٥- منهجية الحوار القرآني، وأثرها في مخاطبة المؤمنين والمهتدين.

٦- أهمية أدب الحوار في حوار المسلمين مع أنفسهم.

٧- أهمية أدب الحوار في حوار المسلمين مع غيرهم.

٨- أهمية أدب الحوار في تعبير المسلمين عن دينهم وثقافتهم وحضارتهم.

٩- أهمية الحوار مع الآخرين في جانب الدعوة إلى الله تعالى.

١٠- أهمية الحوار التربوي في تحقيق نتائج أفضل للتعلم.

١١- أهمية الحوار مع الآخرين في الجانب الثقافي وتفاعل الحضارات.

١٢- انعكاس مفهوم عالمية الإسلام على جانب التفاعل.

obeikandl.com

١٣- مفهوم الحوار الحضاري في مقابل صدام الحضارات.

١٤- تطور علاقة الإسلام بالغرب وبالحضارات الأخرى.

١٥- معوقات حدوث الحوار الحضاري.

١٦- معوقات الحوار بين الأديان.

١٧- التعايش السلمي في الإسلام من النموذج إلى التطبيق.

١٨- مواصفات الحوار الحضاري المنشود.

١٩- مستقبل الحوار مع الحضارات الأخرى.

٢٠- أفكار جديدة لإيجاد حوار صحيح مع أنفسنا، ومع الآخرين.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لهذه الموضوعات المعاصرة من ينهض لإتمامها وإثرائها، وإضافة قضايا أخرى تبرز الحاجة إليها كلما تطورت الدواعي الإنسانية والحضارية.

ونأمل أن تنهض الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية والدعوية في بلاد المسلمين؛ خاصة في بلادنا العربية بإبراز الصورة الصحيحة لهذا الدين، والرد على دعاوى المغرضين والحاقدين والمبطلين والجاحدين.

اللهم هيئ لهذه الأمة الشريفة أمر رشد وهداية؛ يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، وتُقام فيه الحجة، ويُعان أهل الدعوة والحق، ويزهق أهل الباطل، وترتفع كلمة الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه
الراجي عفو مولاه
والفقير إلى رحمة ربه
**أحمد عبده عوض**
١١ من رمضان ١٤٣١هـ

obeikandl.com

obeikandl.com

# المراجع

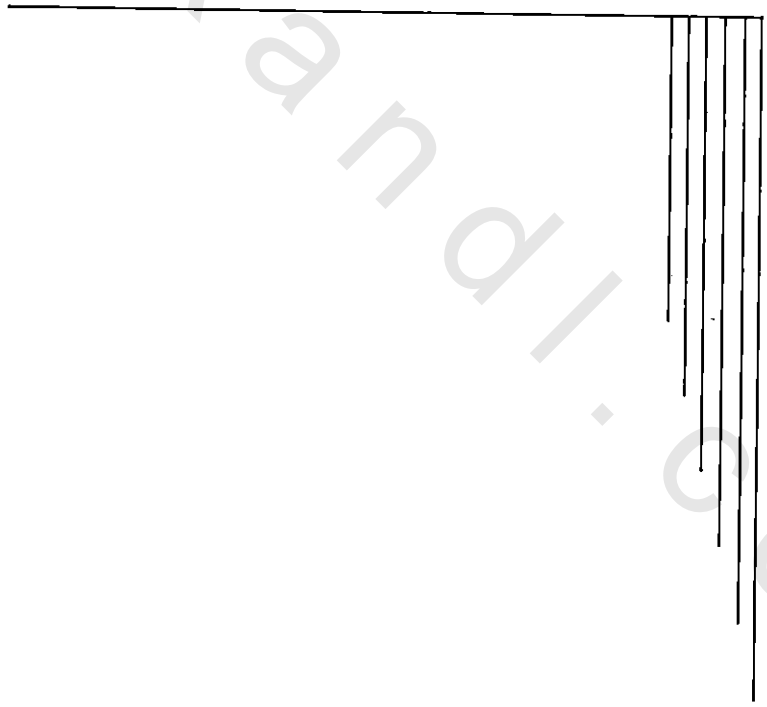

obeikandl.com

obeikandl.com

# المراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الطبعة الثالثة، ١٣٧١هـ، مكتبة البابي الحلبي القاهرة.

٢) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر.

٣) أخبار عمر رضي الله عنه، علي الطنطاوي، وناجي الطنطاوي، الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

٤) آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، دار ابن تيمية للطباعة والنشر، القاهرة.

٥) أدب الاختلاف في الإسلام، د طه جابر فياض العلواني، مطابع الدوحة الحديثة، قطر. د.ت.

٦) أدب الحوار والمناظرة، د علي جريشة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر.

٧) آداب الحوار في الإسلام د سيد طنطاوي: نهضة مصر، يونيو ١٩٩٧.

٨) أدب الخلاف، د صالح بن حميد البخاري، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ مكتبة الأدب، القاهرة.

٩) استخراج الجدل من القرآن، عبد الرحمن الحنبلي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مطابع الفرزدق.

١٠) الإسلام والعالم بين التسامح والتعصب، رمضان أحمد عبد ربه عصفور، مكتبة وهبة، مصر ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١١) أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ المطابع العالمية، الرياض

١٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

١٣) الاعتصام، الشاطبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٤) آفات على الطريق، د السيد محمد نوح، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر.

١٥) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الحديث بالأزهر.

١٦) الإنصاف في بيان أسباب الخلاف، ولي الدين الدهلوي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، ودار النفائس، بيروت.

١٧) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨) تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤م.

٢٠) التعريفات، علي بن حمد الشريف الجرجاني، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، مكتبة لبنان، بيروت.

٢١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ط دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٢٢) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة المدني، بجدة.

٢٣) جامع الأصول، الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.

٢٤) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥ - ١٩٩٤م.

٢٥) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الفكر.

٢٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٧) الجدل القرآني بين أساليب الدعوة الإسلامية د. يوسف عبيد دار الطباعة المحمدية القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٧م.

٢٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، السعودية.

٢٩) حوار الرسول ﷺ مع اليهود، د محسن بن محمد بن عبد الناظر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت.

٣٠) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، المغامسي خالد محمد، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٥ هـ.

٣١) الحوار أصوله وآدابه السلوكية: الضويان أحمد عبد الله، دار الوطن الرياض ط ١.

٣٢) حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرون رؤية إسلامية للحوار، العليان عبد الله علي المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان ط ١ ٢٠٠٤.

٣٣) الحوار في القرآن قواعده أساسه معطياته، فضل الله محمد حسين دار المنصورة للنشر الجزائر.

٣٤) الحوار مع أهل الكتاب، خالد عبد الله القاسم، ١٤١١هـ، جامعة الملك سعود السعودية.

٣٥) خلق المسلم، محمد الغزالي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

٣٦) الخلاف بين العلماء، محمد الصالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة.

٣٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٨) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود.

obeikandl.com

٣٩) دلائل النبوة، البيهقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠) الدعوة إلى الله: الرسالة الهدف، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٤١) رسالة في الحوار الفكري بين الإسلام والحضارة، حوار حول الحوار، محمد إبراهيم الفيومي، ١٩٨١م عالم الكتب، القاهرة.

٤٢) روح الدين الإسلامي: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤.

٤٣) زاد المسير، ابن الجوزي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٤) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.

٤٥) سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤٦) سنن أبي داود، سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي، ١٤٠٨هـ، دار الجيل، بيروت.

٤٧) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر.

٤٨) سنن النسائي، بشرح السيوطي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٤٩) السنن الكبرى للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، الهند.

٥٠) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ، عالم الكتب، بيروت.

obeikandl.com

٥٢) صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥٣) صور من حياة الصحابة، عبد الرحمن رأفت الباشا، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، ودار النفائس، بيروت.

٥٤) العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت.

٥٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة السابعة ١٩٧٦م، دار الباز.

٥٦) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٥٧) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٥٨) مباحث علوم القرآن، مناع القطان مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٧ ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٥٩) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر.

٦٠) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

٦١) مناهج الجدل، د زاهر عوض الألمعي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

٦٢) النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر، د سعيد شبار، منشورات الفرقان. ط ١، ١٩٩٠.

٦٣) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، ع ٦ شوال ١٤٠٦هـ.

٦٤) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق سورية ط ١١، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م.

obeikandl.com

٦٥) في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، د عبد العزيز بن عثمان التويجري منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم د والثقافة: إيسيسكو ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٦٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت ط ٧ - ١٩٧٨م.

٦٧) هل يشكل الإسلام خطر على الغرب عبد الله فهد النفيسي: سلسلة مقالة عني بتحريرها و إضافة هوامشها ساجد العبولي المطيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١، ٢٠٠٣م.

obeikandl.com

# السيرة الذاتية والإنتاج العلمي
# لفضيلة الدكتور/ أحمد عبده عوض

**المؤهل:**

- حصل على الماجستير والدكتوراة في «الدراسات اللغوية والإسلامية» من عام (١٩٨٥م إلى عام ١٩٩٢م)، من كلية التربية «قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة طنطا، وعمل معيدًا، ثم مدرسًا مساعدًا، ثم مدرسًا، ثم أستاذًا بالجامعة ذاتها.
- أشرف على عشرات الرسائل في الماجستير والدكتوراة داخل مصر وخارجها.
- عمل أستاذًا بجامعة «أم القرى» بمكة المكرمة في الفترة من (١٩٩٥م إلى ٢٠٠٠م)، وأثناء ذلك كانت له برامج دينية في «إذاعة القرآن الكريم» بمكة المكرمة، ومشاركات في الصحف السعودية، ومحاضرات في «نادي مكة» الثقافي الأدبي.

**التخصص:**

- أستاذ: العلوم اللغوية والإسلامية.
- داعية وكاتب إسلامي، عضو اتحاد الكتاب المصري، عضو جمعية حماة العربية، محاضر بمعهد الإذاعة والتليفزيون.
- متحدث في البرامج الدينية في إذاعة القرآن الكريم، وفي قنوات «التليفزيون المصري» و«العربي» الأرضية والفضائية.

obeikandl.com

**الأنشطة:**

- يشارك في المؤتمرات اللغوية والإسلامية والتربوية، داخل مصر وخارجها.
- يشارك بدور بارز في الدعوة الإسلامية في الكتابة؛ في المجلات والصحف، وفي اللقاءات اليومية والأسبوعية الثابتة في المساجد.
- يشارك في دورات تدريب الأئمة والخطباء، وفي دورات إعداد القيادات.
- المشاركة مع الهيئات الثقافية والدينية، في الموضوعات والقضايا التي تعالج مشكلات الشباب، وفي المسابقات الثقافية والدينية، وفي إلقاء خطبة الجمعة على مدى ثلاثين عامًا متواصلة في موضوعات تتصل بقضايا التثبيت والإيمان، ومواجهة مشكلات الحياة.

**الاهتمامات:**

١- الكتابة الإسلامية والتأليف.

٢- العناية بدراسة القضايا الاسلامية.

٣- العناية بتأصيل الفكر الاسلامي.

٤- الدفاع عن اللغة العربية، وبيان أهميتها للدين الإسلامي.

٥- رصد الأخطاء اللغوية، وتشخيصها، والصدى لعلاجها.

٦- العناية بقضايا التربية الاسلامية القرآنية.

٧- بيان وسطيَّة الاسلام وسماحته، ويسره، واعتداله، ومناسبته لظروف الناس وأحوالهم، وتحبيب الناس في الإسلام.

٨- تذكير الناس بورع السلف، وكيفية محاسبة النفس، وتصفية أعمال القلوب، وكيفية التعرف على الله عَزَّوَجَلَّ.

**اللهم اجعل هذا كله خالصاً لوجهك الكريم وتقبله منا يارب العالمين**

openkandil.com

## المؤلفات المنشورة

١- فنون اللغة (رؤية فنية، ملامح قرآنية)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٢- التقوى في القرآن الكريم (دراسة لغوية، تفسيرية، إحصائية) دار الصحابة بطنطا.

٣- العدل في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان) المكتبة القيمة بالقاهرة.

٤- الإشارات العلمية في القرآن الكريم (بين العلم والكون والإيمان) المكتبة القيمة بالقاهرة.

٥- الإسلام والبعث الحضاري. مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٦- فضل التحدث باللغة العربية، والالتزام بها. مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٧- الموت حقيقة منسية. مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٨- مداخل تعليم اللغة العربية. دار الندى للنشر.

٩- معالم شهر الصيام. مشترك، مركز الكتاب للنشر.

١٠-قضايا البيئة من منظور إسلامي. مشترك، دار الندى للنشر.

١١-تحقيق مخطوطة (الفرائد والقلائد) للإمام الثعالبي. مشترك.

١٢-تحقيق مخطوطة (غور الأمور) للحكيم الترمذي. مشترك.

١٣-تحقيق مخطوطة (الصراط المستقيم) للفيروز أبادي. مشترك.

١٤-الزواج بين الدين والطب. مشترك.

١٥-المخدرات بين الدين والطب. مشترك.

١٦-نورانيات سورة «يوسف» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

١٧-نورانيات سورة «التوبة».

١٨-تعليم اللغة العربية، بين الفروع والفنون.

obeikandl.com

١٩-صفـات أهل القرآن الكريم.

٢٠-دراسات في علـوم القرآن الكريم.

٢١-تحقيق مخطوطة (بحر الكلام في علم التوحيـد).

٢٢-تحقيق مخطوطة (تاريخ المساجد الثلاثة).

٢٣-تحقيق مخطوطة (الدرة الفاخـرة).

٢٤-تحقيق مخطوطة (لطائف أهل الإلهـام).

٢٥-تحقيق مخطوطة (مسائل القرآن) للرازي.

٢٦-أدب الطفل العربي، رؤية إسلامية.

٢٧-الإعداد لمعجم عن الإمام النورسي.

٢٨-الأخطاء الشرعية في الأمثال العاميـة.

٢٩-الخـط في التراث العربي الإسلامي.

٣٠-خيـر الزاد في صـلاح العباد.

٣١-العقيـدة والسلـوك، والانفصام بينهما.

٣٢-التسامح في الإسلام (صور ومقابلات).

٣٣-الوسطية والاعتدال في المنهج الإسلامي.

٣٤-طاعـة الله ورسوله الكريم وأولي الأمر.

٣٥-أصول المنهج العلمي عند العرب والمسلمين.

٣٦-قراءة تأمُّلية، في فكر الإمام الغزالي.

٣٧-دور المضمون الإعلامي في النهضة الثقافية للأمة الإسلامية.

٣٨-الإسلام والبعث الحضـاري.

obeikandl.com

٣٩-اللغة العربية جامعة للفكر العربي والإسلامي.

٤٠-قضايا إيمانية حول أسماء الله الحسنى.

٤١-أسماء القرآن الكريم.

٤٢-التربية الإيمانية في القرآن الكريم.

٤٣-سبيل الوصول إلى بلاغة الرسول ﷺ (ثلاثة أجزاء).

٤٤-الخطرات منجيات ومهلكات.

٤٥-خواطر قرآنية إعجازية.

٤٦-تجليات الإيمان في حياة المسلم.

٤٧-سمات المنهج العلمي والإعلامي في الإسلام.

٤٨-القراءة العربية، مدخل قرآني.

٤٩-الكتابة العربية، مدخل قرآني.

٥٠-تدريس التربية الإسلامية.

٥١-الرسول ﷺ في القرآن الكريم.

٥٢-آداب المعاملات في الإسلام.

٥٣-الأخطاء اللغوية، وخطورتها في التحدث والكتابة.

٥٤-موجبات الرحمة. مشترك.

٥٥-عزائم المغفرة. مشترك.

٥٦-أنوار المنان في سيدة آي القرآن.

٥٧-حوار الحضارات والأديان في الميزان.

٥٨-الحوار في الإسلام، ودوره في الدعوة والتربية والثقافة.

obeikandl.com

## سلسلة لقاء الإيمان:

هذه السلسلة:

١- الأدعية الجامعة.

٢- أسرار وأنوار.

٣- في صحبة الأحاديث القدسية.

٤- في رحاب الرحمن (المسافرون إلى الله).

٥- التجارة الرابحة (المجاهدة والتجارة مع الله).

٦- من الهداية إلى الثبات.

٧- وتزودوا (الاستقامة والإنابة).

٨- فاسألوا أهل الذكر (فتاوى مبسطة).

٩- المحمديات (في ظلال أخلاقه ﷺ).

١٠-نصرة رسول الله ﷺ.

١١-مع الله (رحلة اليقين).

١٢-ففروا إلى الله (الموقظات).

١٣-الذين يبلغون رسالات الله (في معية الله).

١٤-سُبحانك (ويأبى الله)

١٥-وكيف تكفرون ...؟ (معية الإيمان والعلم والمحبة).

١٦-هذا ذكر (سور وإعجاز).

١٧- آداب ومعاملات.

obeikandl.com

١٨-ليس منا.

١٩-واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله (رحلة الحياة).

٢٠-لعلك ترضى (ولسوف ترضى).

**كتب جديدة للمؤلف (منشورة، جاهزة للنشر، قيد النشر):**

١- ليالي الفضل في القرآن الكريم (مشترك).

٢- إرشاد الناسك إلى أداء المناسك.

٣- تفسير سورة الإخلاص، والمعوذتين.

٤- تفسير سورة المسد.

٥- أيام الفضل.

٦- من فيض الإيمان.

٧- الإيمان حب ويقين.

٨- طعم الإيمان.

٩- تلقيح الإيمان.

١٠-النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

١١-في رحاب القرآن الكريم.

١٢-في رحاب الإيمان.

١٣-ارتفاع الهمة.

١٤-مع الله.

١٥-البيان في تلاوة القرآن (قواعد الأداء، والتجويد).

obeikandl.com

١٦-أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية.

١٧-التكافل الاجتماعي والإغاثة.

١٨-فقه الحوار في السنة النبوية (مع المسلم والآخر).

١٩-دعاء العارفين.

٢٠-تفسير سورة الإسراء.

٢١-المهاجرون إلى الله.

٢٢-موسوعة أدب الثناء على الله.

٢٣-ويأبى الله.

٢٤-ولا تيأسوا.

٢٥-أشواق إلى الحرمين.

٢٦-البيعة مع الله تعالى.

٢٧-التكاليف والأوراد.

٢٨-مفتاح السعادة ومخ العبادة (مشترك).

٢٩-الصيام .. علو الهمة، واستقامة الأمة.

٣٠-ينابيع الخير.

٣١-تجليات الإيمان في حياة المسلم.

٣٢-حمية الجاهلية.

٣٣-ففروا إلى الله.

٣٤-الفرج بعد الشدة.

obeikandl.com

٣٥-ابحث عن الصادقين.

٣٦-رحلة التفاؤل والتشاؤم.

٣٧-رحلة الحجيج (خمسة أجزاء).

٣٨-المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم.

٣٩-الشمائل المحمدية

٤٠-مجاهدة فتن الشيطان.

٤١-فهل من مدكر.

٤٢-حلاوة الإيمان.

٤٣-حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب

## برامج دينية جديدة بفضل الله عَزَّوَجَلَّ:

| | |
|---|---|
| ١- صباح الإيمان | قناة الناس / قناة البركة / قناة الفتح. |
| ٢- مساء الإيمان | قناة البركة. |
| ٣- فهل من مدكر | قناة الحافظ. |
| ٤- ذلك هدي الله | قناة النجاح / قناة الفتح الفضائية. |
| ٥- فقه المرأة المسلمة | القناة الأولى والثانية. |
| ٦- السابقون إلى الله | قناة الشباب الدينية. |
| ٧- دعاء وشفاء | قناة الصحة والجمال. |
| ٨- مناجاة | قناة الصحة والجمال. |
| ٩- المسابقة القرآنية العالمية للقرآن الكريم | قناة البدر الفضائية. |

obeikandl.com

## البرامج المرئية والمسموعة في إجهزة الإعلام

١- برنامج (لقاء الإيمان) في القناة السادسة على مدى عدة أعوام على الهواء مباشرة.

٢- برنامج (أسرار وأنوار) قناة المحور الفضائية «٢٠٠٤م».

٣- برنامج (فاذكروني اذكركم) القناتان الأولى والثانية»٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م».

٤- برنامج (في رحاب القرآن) قناة السفر العربي الفضائية المصرية «٢٠٠٥ م».

٥- برنامج (في نور الأحاديث القدسية) الفضائية المصرية «٢٠٠٥م».

٦- قناة التنوير: جنود الله «٢٠٠٥م».

٧- برنامج (مفاهيم إيمانية) الفضائية السودانية «٢٠٠٥م».

٨- برنامج (من آيات الرحمن) القناة الثقافية «٢٠٠٤م».

٩- برنامج (بلاغة الرسول ﷺ) إذاعة القرآن الكريم المصرية على مدى سنوات عديدة.

١٠-برنامج (حديث من القرآن الكريم) إذاعة القرآن الكريم «بالسعودية».

١١-برنامج (عظماء الإسلام) القناة الثالثة من «٢٠٠٠م إلى ٢٠٠٤م» وبرنامج (حديث الجمعة).

١٢-برنامج (الفتاوى) في قنوات اقرأ، المحور، دريم، الثقافية.

١٣-برنامج (في نور القرآن الكريم) القناة الثانية.

١٤-برنامج (المجلة الإسلامية) القناة الأولى.

١٥-برنامج (مع الله) و(فضفضة إيمانية) في قناة الناس.

١٦-تسجيلات صوتية ومرئية في شركة صوت القاهرة.

١٧-عدة إصدارات صوتية تتجاوز الخمسين، ولله الحمد.

obeikandl.com

- سلسلة «المحمديات» شركة النور الإسلامية
- سلسلة «ففروا إلى الله» شركة النور الإسلامية
- سلسلة «موقظات» شركة ذي النورين
- سلسلة «داعي الله» شركة عمران للتسجيلات الإسلامية

١٨-أكثر من ستين كتابًا شرعيًّا مطبوعًا منشورًا داخل مصر وخارجها.

١٩-أمسيات دينية وخطبة الجمعة في إذاعة القرآن الكريم، وبرنامج (تقديم التلاوة) في إذاعة القاهرة (البرنامج العام).

٢٠-برنامج (صباح الإيمان) يقدم في الفترة الصباحية على مدى ساعتين ونصف على الهواء مباشرة في قناة الناس الفضائية ولله الحمد.

فضلًا عن جهد متواضع في نشر الدعوة الإسلامية على مدى ثلاثة عقود، ولله الحمد، وأحتسب الأجر من الله تعالى.

نفع الله بكم، وشرح الله صدوركم، وأدام عليكم نعمته وحفظه، وجعلكم من أسباب تبليغ الرسالة ونشر الإسلام ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

**آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

oberkandi.com